الموسوعة الصغيرة

٤٠٦

عبدالملك نوري رحلة الابداع ..

تأليف
هاتف الثلج

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام

رئيس التحرير

ماجد اسد

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الموسوعة الصغيرة

(٤٠٦)

عبدالملك نوري
رحلة الابداع

تأليف
هاتف الثلج

المقدمة

يُعد القاص الكبير عبدالملك نوري من أوائل رواد القصة القصيرة العراقية الحديثة ، على الرغم من انه مارس كتابة أشكال أدبية أخرى كالمسرح والشعر المنثور والمقالة والنقد . ولكنه رسخ موقعه قاصاً مبدعاً منذ بداية ولوجه هذا النوع الأدبي - أي القصة القصيرة - وملأ في حقبة الخمسينات مساحة واسعة من سماء الإبداع ، وكان سباقاً الى تجريب أنواع كثيرة من أشكال القص ، وبهذا أصبح عبدالملك نوري من كبار القصاصين العراقيين الرواد الأوائل . ولكن تلك المساحة الواسعة التي شغلها المبدع الرائد لم تستمر بالاتساع ، إذ أثرت انشغالاته السياسية والدبلوماسية على ذلك التدفق الحيوي الذي عُرف به في مرحلة ما قبل الخمسينات حتى إنزوائه وإنحساره في النشر وابتعاده عن الاضواء ، الأمر الذي جعل من شخصيته غير معروفة لدى الكثيرين من الأدباء الشباب لا سيما تلك الموجة التي بدأت تبحث عن اسلوب حديث في كتابة القصة ، وتنأى عن أشكالها الى أشكال مغايرة .

. من هنا بدأت مرحلة التقصي والبحث عن شخصية كانت لها بصماتها الواضحة والمؤثرة في تاريخ القصة العراقية وبدأت مع مرحلة البحث والتقصي ، مرحلة المعاناة والألم من أجل انتزاع مكنونات عبدالملك نوري الداخلية وارهاصاته واحساساته بما يدور حوله . فقد بدأت معه صديقاً ولكنني صديق غير مألوف لديه كما كان أصدقاؤه في زمن الخمسينـات أو الستينات ، ثم آلفتـه وآلفني وتواصلت معه في علاقة حميمية أضاءت لي الكثير من جوانب حياته .

ونتيجة لهذه العلاقة ، سماني عبدالملك نوري « الابن » وهي تسمية أعتز بها لأنها خلاصة مرحلة من التعب والمعاناة والعطاء ثم كان اهتمامي به وبكتاباته استثنائياً وهذا ما كان يفتقده الكثير من أدبائنا المنسيين في يومنا هذا . لقد شعرت مثلما شعر عبدالملك نوري ان مسألة الاخلاص للواجب الأدبي واخلاص الأجيال الأدبية للأجيال السابقة ، لا يتم إلا عبر اعتزاز الجيل اللاحق بالجيل السابق والاعتراف بدوره وعطائه الأدبي . وهكذا كنت مع عبدالملك نوري .. وهكذا شعر عبدالملك نوري أيضاً .

إن الشعور بضرورة الانتماء الى الجذور الأدبية

والإبداعية . في أي جنس أدبي يعني إحساساً بالفضل لأولئك الذين قدموا وعانوا الكثير لكي يؤسسوا خطوات واثقة ومهمة في تاريخ الإبداع العراقي الأصيل .

وكتابي هذا رحلة من تلك الرحلات التي حاولت بها الكشف عن العوامل التي أسهمت في انضاج الأدب العراقي في مرحلة خصبة من تاريخه من ناحية والكشف عن دواخل المبدع والإمساك بها بطريقة لا تخلو من النقد حيناً ، ومن الوصف حيناً آخر ، وهي رحلة سخرت من أجلها الكثير من الجهود لأضع مبدعينا ، لا سيما أولئك الرواد في دائرة الضوء التي يستحقون ، منتشلاً في الوقت نفسه جزءاً عزيزاً من تاريخنا الأدبي والإبداعي قبل أن يطويه النسيان .

إنها رحلة أصفها بأنها عربة تسير في طريق الوفاء والمحبة والأصالة والإبداع عنَّ قارئي العزيز يركب الى جانبي ويستكشف تلك العوالم التي وددت أن تكون حية ماثلة في الأذهان ، ما دمنا نعيش في زمن الإبداع والعطاء الذي لا ينضب .

فهذا المبدع الرائد يعيش زمنه الماضي الذي ملأه إبداعاً وكأنه متصل بزمنه الحاضر الذي يعيش فيه على الرغم من متابعته وقراءته للكثير من المستجدات

التي تطرأ على ساحة الإبداع في عصرنا الحالي . ولكن عبدالملك نوري المتنوع في كتاباته بين القصة والمسرح وأحياناً الشعر والرواية والمقالة . ظلَّ يعيش عالمه الخاص. وظل مخلصاً لذلك العالم ، لأنه رأى فيه فتيلا مفجراً لهواجسه ومكامن الإبداع فيه فضلا عن انه يكاد يعيش عزلة عما يحيط به من متغيرات وتطورات .. بسبب انقطاعه عن الصداقات وأحياناً بسبب انقطاع الأصدقاء عنه .

وإذا تصفحت إبداع عبدالملك نوري أولًا فلن تجد أمامك مطبات ومشكلات تغني قراءتك ، لأن انسياب قصصه بسيطة ومقنعة يساعدك كثيراً على تتبع ذلك الإبداع والاهتمام به .. وفي هذا لا أقول أن قصص عبدالملك نوري مسطحة أو سهلة .. بل .. العكس فان موضوعها الجريء لا بد له من ان يأخذك الى عوالمه السحرية حيث تجد فيه صيرورة المجتمع البغدادي وإشكالاته ومشكلاته وعلاقاته المتنوعة .

اما إذا تصفحت تاريخ عبدالملك نوري نفسه ، فانك في أول الأمر ستضطر الى قراءة تاريخ رجل متنوع الاهتمامات ومتنوع القراءات ، قد يبدو في بداية الأمر صعباً علي وقد يبدو أحياناً مستحيلا لانه لا يستجيب بسهولة لما تريد . ولكن ما ان تجالسه وتتحدث إليه حتى تنفتح

أمامك صفحات وصفحات من الذكريات التي تمتلىء بعوالم الإبداع والسياسة والدبلوماسية . حيث مارس هذه العناصر في حياته المليئة بالصخب المعبر عن تمرد على تقاليد رأى فيها تقاليد بالية وغير مجدية .. فهو الفقير المترف .. والبسيط المعقد .. والضد المتفق .. والرافض القابل .. والمتناقض اللا متناقض .. هذه عوالم مبدعنا الكبير عبدالملك نوري التي أردنا أن نتتبع خيوطها .

هاتف الثلج

بغداد في ١٩٩٢/٦/١٠

في مصر وعلى شواطىء قناة السويس التي رأت الدنيا على يد الخديوي وشُقت بدموع المصريين ودمائهم ، يقبع محجر صحي ، كانت البعثة التي عادت من الحجاز وحققت الانتصار على الاستعمار العثماني . عندما اشتركت الى جانب الشريف حسين في الثورة العربية الكبرى ، تضم عسكرياً وفد الى مصر والى جانبه زوجته التي حملت جنينها في شهره التاسع .

وفي ليلة ١٩٢١/١/٣ انطلقت صرخة في أرجاء المحجر الصحي الذي عزل منتسبوه خوفاً من تفشي وباء انتشر في الجزيرة العربية ، ويخشى انتقاله الى مصر .

تلك الصرخة كانت صرخة « عبدالملك نوري » ، لم يلبث المولود الجديد الذي فتح عينيه في المحجر الصحي تحت الانتظار حتى حمل الى بغداد حيث عاش آباؤه وأجداده . كانت بغداد ضيقة لا تتسع إلا لساكنيها الذين عرفوها وعرفتهم ، ولم تكن تباشير الحضارة وصلت إليهم بعد .

البداية :

محلة صغيرة اسمها : « الصابونچية » تقع في قلب مدينة بغداد ، كانت الأولى التي احتضنت ذلك الغض الذي عاد من السويس محمولا على الدعاء والبركات . لأنه الولد البكر. في هذه المدينة اكتشف عبدالملك نوري عالمه الجديد حيث عرف طرقات مدينته وحواريها وعالمها وأناسها الطيبين .

في « الصابونچية » عاش عبدالملك نوري صديقاً وفياً لابن عمته عدنان صبري مراد ، الذي لازمه منذ البداية في رحلة العناء والإبداع .. وفي شوارع بغداد خاض الطفلان في مياه الشوارع الطينية غير المبلطة مثلما خاضا في مياه شتاءاتها وأمطارها .

انتهت ثلاث سنوات على هذا المنوال حتى بلغا عمر الدراسة .

التعلّم :

كانت دور التعلّم قليلة في مدينة بغداد ، ومقتصرة على أبناء الذوات من أهاليها . دخل عبدالملك نوري في أول رحلة العلم الى مدرسة الراهبات في عقد النصارى ـ مقابل ساحة الغريري حالياً ـ حيث تعلم فيها اللغة الإنكليزية

واللغة الفرنسية وكان عمره ثلاث سنوات . ثم دخل الى روضة اسمها « تطبيقات دار المعلمات » التي تحولت بنايتها اليوم الى الاعدادية المركزية للبنات .

كان في تلك الروضة معلمات من سورية ولبنان . وفي تلك الروضة تعلق عبدالملك نوري بمعلمته اللبنانية الأصل (ملفين) التي أراد رؤيتها في إحدى زياراته الى لبنان ولكنه فوجيء بأنها فارقت الحياة ، وقد حزن كثيراً لوفاتها .

مدرسة المأمونية :

تنتهي على عجل سنوات عبدالملك نوري في روضه تطبيقات دار المعلمات ، ويجد نفسه في مرحلة تعليمية جديدة ، ففي مدرسة المأمونية درس المرحلة الإبتدائية بكاملها . وعندما تخرج منها كانت أزاهير الأدب قد بدأت بالتفتح لتوها في روحه الباحثة عن لذة الاكتشاف . ولم يكن عبدالملك نوري المبدع الوحيد الذي تخرج منها ، فقد خرَّجت المأمونية مبدعين في مجال الأدب والفن والرسم والنحت .. فمن خريجيها جواد سليم وفائق حسن .

لم تكن سنوات الدراسة خالية من كره للاستعمار رغم حداثة سن عبدالملك نوري حيث كثيراً ما شاكس الميجر



القاص عبدالملك نوري في سنته الرابعة

(ايدي) الذي كان مشرفاً على الجيش العراقي إبان عمل والده في إعادة تنظيم الجيش العراقي .

ورغم جدية الدرس في سنوات الدراسة الابتدائية إلا ان مشاكسات عبدالملك نوري مع زملائه ، وأحياناً مع أساتذته ، كانت تشير الى انه طالب كثير الحركة ومشاكس !!

ففي بعض الدروس كان عبدالملك نوري يرمي معلمه عندما يدير المعلم ظهره بالحمص ـ اللبلبي ـ الذي يشتريه من بوابة المدرسة قبل الدوام ، من رجل يعرفه الأطفال في ذلك الزمان باسم (لندا) حيث كان يصيح على بضاعته « ان هذا صنع لندا » أي لندن .

لم يكن عبدالملك نوري يفضل درساً على آخر فهو متفوق في كل دروسه ، أما علاقته بمدرسيه فكانت طيبة ولم يبق في ذاكرته بعد سنوات عمره غير قسوة مدرس الرياضيات الذي كان يضرب (بالبركال الخشبي) كل طالب يخطيء في حل مسألة ما .

الطفولة :

الطفولة هي البذرة الأولى التي يمكن أن تغرس فيها الافكار والرؤى ، فكيف كانت تلك الطفولة ؟

لم يكن في عائلته أديب أو مَنْ يهتم بالأدب ، لكن أباه كان رجلًا متسامحاً ، وكانت طفولته جميلة ، سعيدة ، كان هو الابن الاكبر في العائلة . وعاش في دار مجاورة للدار التي يسكنها حالياً ، والواقعة في شارع « طه » كما يسمى سابقاً في الأعظمية ـ حي المغرب . وكان له أربعة أشقاء ، اخوه « منذر » الذي يصغره بثماني سنوات ، وهو ضابط متقاعد الآن ، اضافة الى الاخوات الثلاث « ساهرة ، فاخرة ، عدلة » وكانت والدته « ربة بيت » أما والده فقد كان عسكرياً .

في طفولته لم تكن هناك مؤثرات معينة ليكون قاصاً كان يمتلك نزوات فنية فقد كان يرغب في بداية حياته أن يكون نحاتاً ، منذ كان في سن الثانية عشرة ، ولم يكن لديه أصدقاء يسهمون في توجهه الادبي ، فقد كان صديق طفولته ابن عمته (عدنان مراد) ولم تكن لعدنان أية علاقة بالادب من قريب أو بعيد .

كان بيتهم قريباً من نهر دجلة ، لكن الطريف في الأمر انه لم يتعلم السباحة ، وكاد يغرق في نهر دجلة ثلاث مرات ، فقد كان ينسل من البيت في الصيف الحار مع ابن عمته ، بعد ان ينام الجميع ، يذهب الى النهر ، لقتل ذلك الحر اللاهب ، وعلى الرغم من ولعه بالنهر وطين النهر ، لم يعلمه



القاص في صباه

أحد السباحة ، لذلك أخذت صلته تمتد بالنهر من خلال « الطين » الذي أخذ يصنع منه هياكل بشرية أو حيوانية .

ومن طرائف تلك الفترة بالذات ، انه كان ذات مرة مع أصدقاء ذاهبين الى جزيرة صغيرة في منتصف النهر بزورق ، ولكنه قبل الوصول الى الجزيرة رمى نفسه في النهر فوصل الى قاع النهر قبل وصوله الى « الجزيرة » ، لكن زملاءه أنقذوه بأعجوبة من الموت غرقاً في ذلك اليوم .

هواياته :

كان يعشق الخيول . فحين كانت تجلب تلك الخيول لوالده (الذي كان آمر المنطقة الجنوبية) في باب المعظم مع سائسيها كان يقضي معظم وقته قريباً منها . لكن قبل ان يخرج والده من مكتبه عائداً الى البيت ، كان يركب بعض تلك الخيول ويتجول بها في بعض الساحات والشوارع .

في البداية كان السائس يدربه على الركوب . لكن تعلقه بالخيول كان ، قبل ذلك الوقت ، قد بدأ في مدينة الموصل ، حيث كان والده آمراً لحاميتها مدة ستة أشهر ، وفي ذات مرة نجا بصعوبة من الموت . فقد كان راكباً أحد الخيول في الثكنة العسكرية ، وكان باب الثكنة واطئاً ، وحين اقترب « الفرس » من الباب بسرعة كبيرة صرخ به السائس

« انبطح على ظهر الحصان » ولا يدري كيف انبطح وكيف نجا .. كانت أعجوبة حقاً .

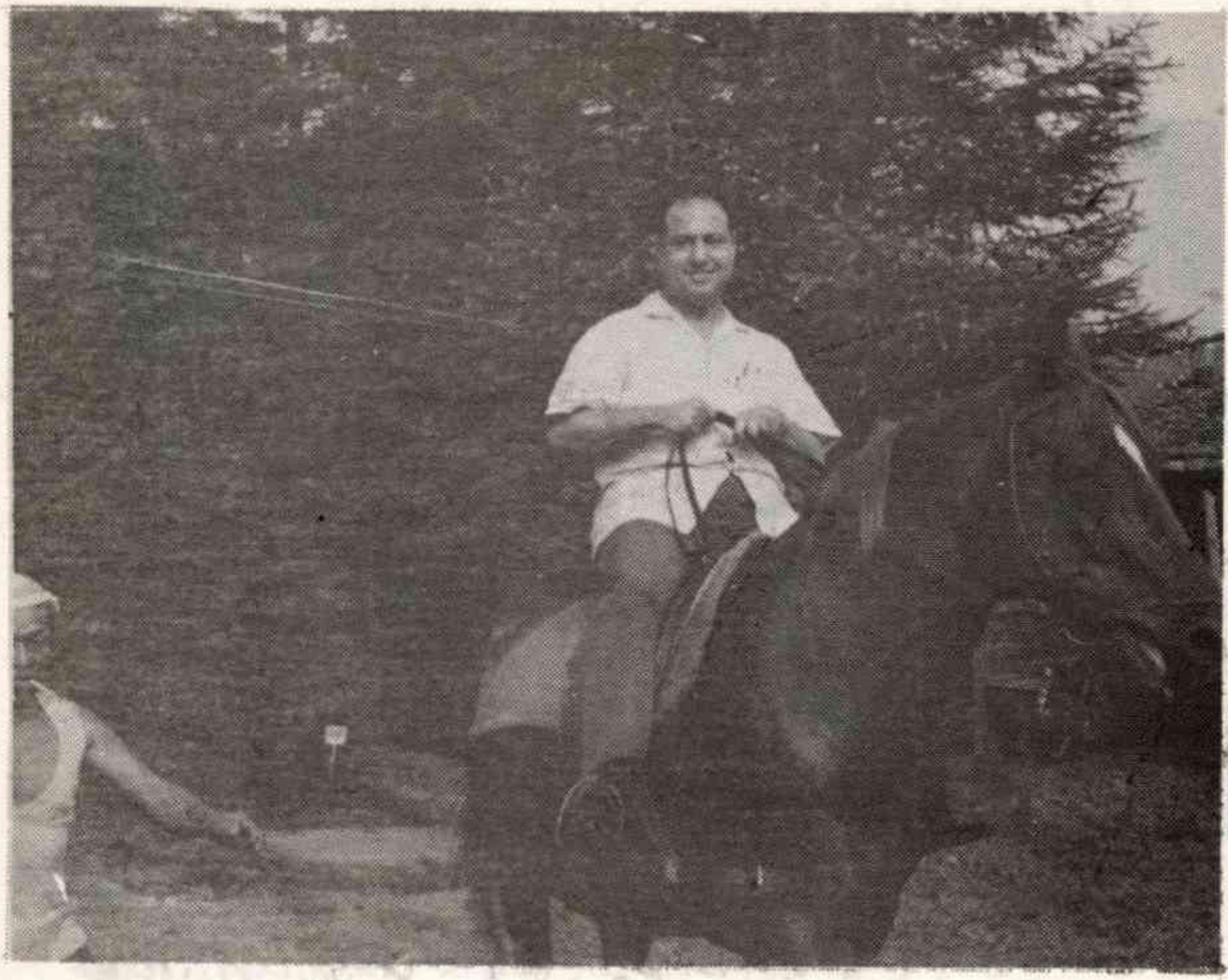
وكان متعلقاً بالكلاب والطيور . وقد شاهدت في بيته الطيور والبلابل ـ ويعلق عبدالملك على ذلك ـ ولكني لم أصبح « مطيرچي » .. يقهقه عالياً .. فهي تسليته اليومية ، يقدم لها الطعام والماء كل يوم .

من هواياته الأخرى الرماية ، فقد كان في نزهاته لا يخطىء هدفاً طائراً ، ولكنه لا يحب أن يأكل مما يصطاد ، إنما يقدمه هدية للقرويين الذين كانوا ينتشرون في أطراف بغداد .

وكان يقدم الطعام والماء للقطط ولكنه لا يحب أن يلمسها ، ويصلح جميع الأدوات الكهربائية ولعب الأطفال في البيت وقد نمت هذه الهواية رغبته في الدراسة العلمية .

كما كان محباً للتمثيل ، ويقلد الفنان « يوسف وهبي » حيث كان يجمع عدداً من الأقارب وشقيقه وشقيقاته في زاوية من زوايا سرداب البيت . ويضع ستارة ، ويقوم بنشر الأضوية الملونة التي يستطيع أن يتحكم بها من خلال أزرار يضعها على مقربة منه ، ويقوم باخراج وتمثيل تلك المسرحيات .

وكان يحب الموسيقى كثيراً .. وهو ما زال يعشقها



القاص في اليابان تموز ١٩٦٢
يمارس هوايته ركوب الخيل



القاص عبدالملك نوري في سنته الثانية
مع والده الفريق عبداللطيف نوري وزير الدفاع

حتى الآن .. كما كان يغني بشكل جيد ، وفي هذا المجال يقول عبدالملك نوري :ـ كنا في شبابنا « نهرج الدنيا » في سهراتنا الخاصة ، هل تريد أن أغني لك ؟

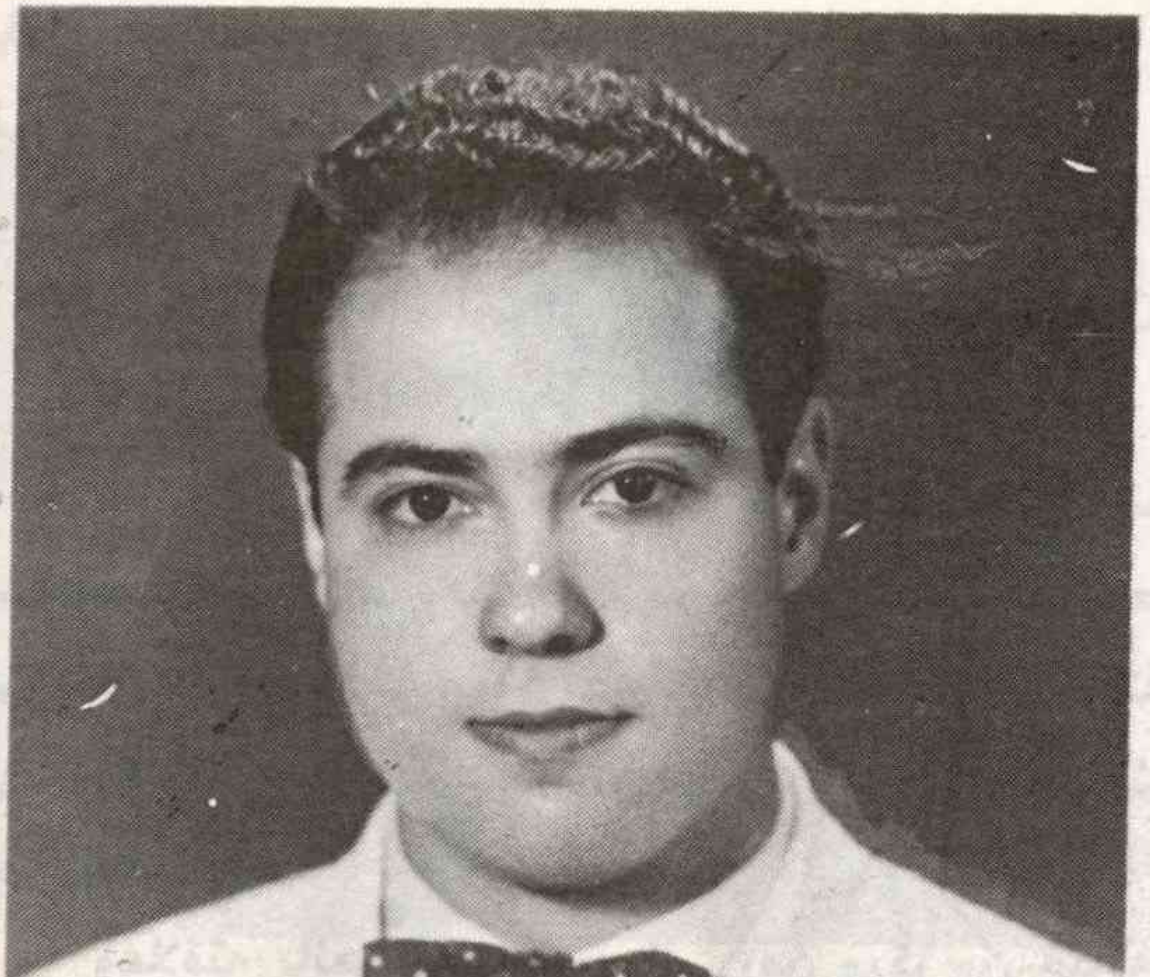
● كما تحب .

يستمر في غناء أوبرالي اضافة الى مقاطع من إغانٍ أجنبية قديمة « إيطالية » .

ـ أنا الآن في أحسن حالاتي ، انقطعت عن الغناء منذ مدة طويلة .. الغناء يحتاج الى تدريب متواصل . لم يخطر في بالي اني سأغني يوماً بعد كل هذا الانقطاع .. الغناء يهدىء النفس ويشحذ الذاكرة .. ينعشها .. انه تصريف لكثير من التعب وقضايا أخرى .. يغرق في ضحك متواصل .

وعلاقته بالموسيقى تمتد الى زمن مبكر من حياته ، حيث كان يعزف على آلة الفلوت وآلة الاكورديون أيضاً وفي هذا الجانب لا بد أن نذكر ان والده كثيراً ما يرسل له الحاجات التي يود الحصول عليها .. منها الآلات الموسيقية ..

وما زال عبدالملك نوري يستمع الى الموسيقى ، ويحب سماع موسيقى الكثيرين . ولكنه دائماً يعود الى بيتهوفن . فهو يعتقد انه لا يوجد أحد أفضل منه في هذا المجال فهو القمة في موسيقاه .



القاص حين كان طالباً في الجامعة الاميركية
في نهاية الثلاثينات

ومن العراقيين فقد تعرّف فريدالله ويردي وسلمان شكر. وهو يفضل فريدالله ويردي ، وعلاقته به تمتد الى سنوات طويلة سابقة .

وفي جلسة خاصة جمعتني مع عبدالملك نوري وفريدالله ويردي اقترحت أن يعزف فريد ليرافقه عبدالملك بالغناء . وبالفعل صدح عبدالملك نوري بطريقة أوبرالية ، وكأنه يستعيد الزمن المفقود ، حتى انه أخبرني بعد انتهائه من الغناء بأنه في أحسن أوضاعه .

في بداياته ، لم يكن هناك شيء محدد ، أو مخطط في أن يكون « عبدالملك نوري » قاصاً ، وقاصاً مجدداً في تاريخ القصة العراقية الحديثة . لكنه حين كان طالباً في المتوسطة راودته فكرة الكتابة . وكانت في تلك الفترة تصدر مجلة « فتاة العراق » فأرسل إليها ببعض القصاصات التي امتلأت بالأخطاء النحوية والاملائية ، ثم أخذ في انتظارها أياماً وشهوراً دون أن يرى اسمه في صفحات تلك المجلة . في تلك الفترة أصابته خيبة أمل ، لكنه عوض تلك الخيبة ، بامتلاكه صوتاً جميلا عذباً ، حيث أخذ يقلّد أغاني « محمد عبدالوهاب » و « أم كلثوم » وأجاد في العزف على البيانو ، أي انه منذ بداياته كان يطمح أن يكون شاباً متميزاً ، ولكنه لم يحدد كيف يكون هذا التميز .

فقد اتجه الى الموسيقى الكلاسيكية ، ولما كان في بيت عمته « بيانو » أخذ يعزف عليه كل يوم ، فقد كان عزفه يثيرهم لأنه سريع الحفظ لأنغام الأغاني الجديدة ، والسمفونيات ، وإعادة عزفها بصورة مباشرة ، وهو يروي عن تلك الفترة طرفة جميلة حدثت له في معهد الفنون الجميلة . فقد عزف « نوطة » لشوبان بيد واحدة . وكان هناك أستاذ اسمه « هرتز » سمع عزفه ، فأعجب به كثيراً ، ولكنه لم يرضَ على تصرفه هذا ، لأنه كان مبتدئاً ، وهذا عزف للمتقدمين . ثم ترك المعهد لأنه لم يكن يمتلك صبراً طويلا حتى يتعلم شيئاً هو متمكن منه .

في عام ١٩٣٣ زارت الفنانة أم كلثوم العراق لاقامة حفلات غنائية . وفي ذلك العام كانت بغداد تضم أحياء قليلة ، ولهذا سكنت أم كلثوم في الشارع نفسه الذي يقع فيه بيت عبدالملك نوري ، حيث استأجر منظمو الحفلة هذا البيت لها .. كان عمر عبدالملك آنذاك (١٢) عاماً وكان وابن عمته (عدنان صبري) يودان مقابلتها ، ولكنها رفضت . وبعد جهود استطاعا الدخول عليها . وقالت للحاضرين :

إنني لا أقبّلهما خشية أن يلتصقا بصدري .

وكانت تقصد بذلك انها صغيران فشعر عبدالملك



القاص عبدالملك نوري في سنته الثانية مع والده الفريق عبداللطيف نوري



عبدالملك نوري بعدسة رفيق عمره الروائي فؤاد التكرلي
١٩٥٢/١/١٧

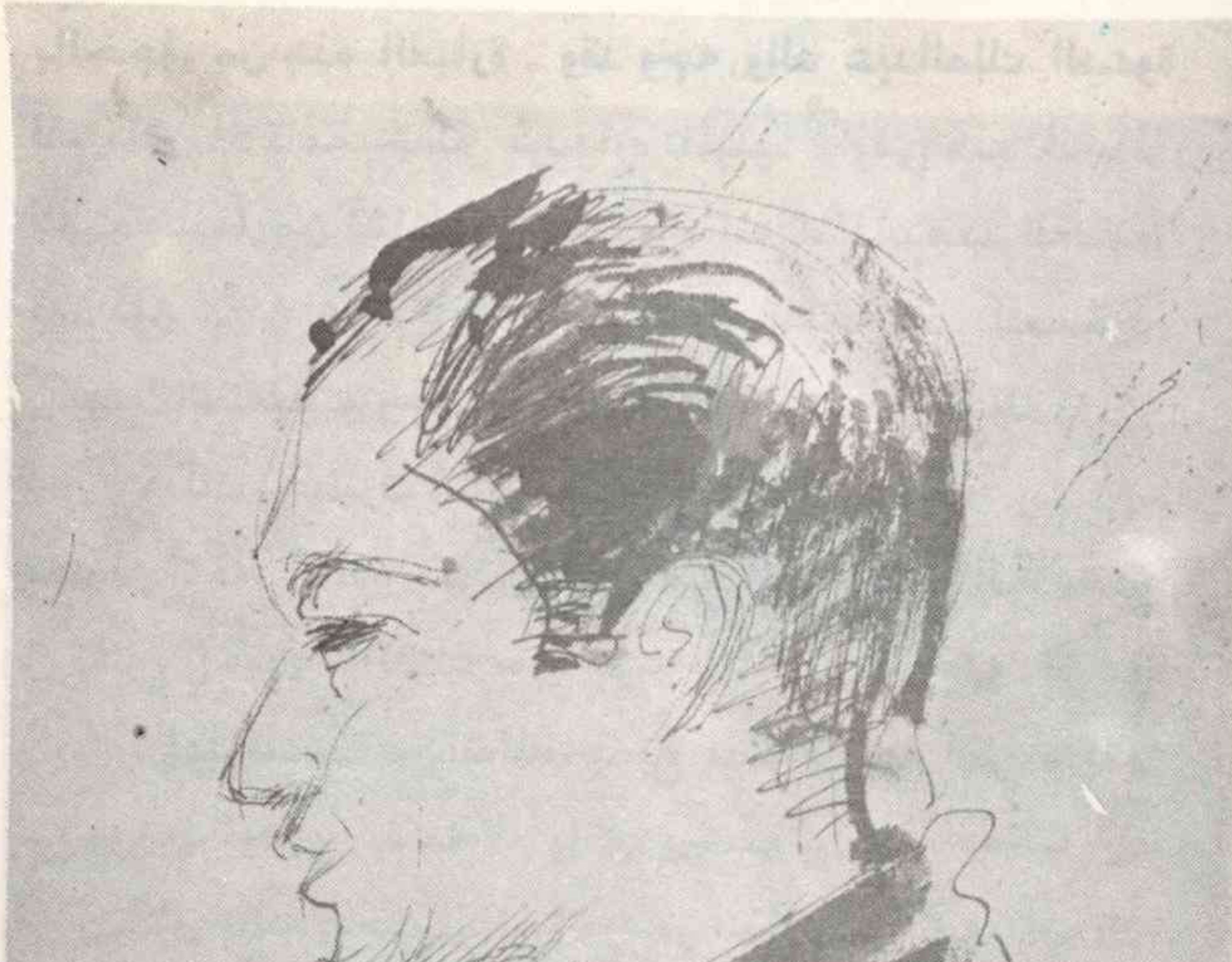
بالخجل من هذه العبارة . وقد وجه والد عبدالملك الدعوة لأم كلثوم لاقامة حفلة في داره فلبتها . وفي هذه الحفلة غنت قسماً من أغانيها المشهورة آنذاك فأعجب الحضور بغنائها وكان من بين الحاضرات زوجتا جعفر العسكري ونوري السعيد وزوجات مسؤولين آخرين في الدولة .

كذلك حضرت الى بيتهم الفنانة فاطمة رشدي . بعد ان كلفه والده بالذهاب مع ابن عمته الى فندق (كلارج) وهو بالقرب من جسر الأحرار وتوجيه الدعوة إليها . وقد شاهد عبدالملك جميع مسرحياتها التي مثلتها مع يوسف وهبي ولكنه لم يلتق يوسف .

كان والده يحب الفنون ويدعو الفنانات الشهيرات الى بيته لاقامة الحفلات ولهذا السبب أُتيحت لعبدالملك فرصة مشاهدتهن . ولكن والده لم يكن يدعو الفنانين فهو لم يوجه الدعوة للموسيقار محمد عبدالوهاب . وعلى الرغم من ذلك فقد زاره عبدالملك أثناء اقامة معرض زراعي صناعي أقيم في بناية وزارة الخارجية السابق . الواقع في باب المعظم . فذهب إليه وقال له :

ـ أنا معجب بك .

فنهض عبدالوهاب على الفور ورحب به وصافحه وجلس معه قليلا .



القاص عبدالملك نوري بريشة الرسام خالد الجادر
باريس ١٩٦٥

يرتبط عبدالملك نوري بعلاقات وثيقة مع مختلف أنواع الفنون .. فبالاضافة الى علاقته بالرسم والنحت والغناء ، التي تعود الى بداياته الأولى ، فهو مولع بالنحت لدرجة انه حين كان في جاكارتا عاصمة اندونوسيا ، كاد يتسبب بحريق في سفارتنا هناك ، حيث جلب مادة الشمع الى السفارة بكميات كبيرة لعمل تمثال للفنان شارلي شارلن وكادت السفـارة تحترق بسبب كثـرة الشموع التي اشتعلت في التمثال .

وعلى الرغم من انه من مواليد ١٩٢١ ، أضاف الى عمره ثلاث سنوات . أي أصبح من مواليد ١٩١٨ ، ولهذه المناورة حكاية طريفة كان يرغب بالدخول الى الكلية العسكرية ـ حيث كان والده وزيراً للدفاع ـ ولكي يتخلص من الدراسة ، وكانت هذه الرغبة جزءاً من أحلام الشباب ، التمتع بالمنصب العسكري والراتب والعمل بالقرى . كانت هذه الحادثة بعد انقلاب بكر صدقي . وكان في محكمة الصلح شاهد زور عالمي ، يطلقون عليه اسم « توفيق أجنص » و « أجنص » هذه تعني « وكالة » وهو وكالة أنباء بحق . ويقوم بنشر جميع الأخبار شفاهاً في مختلف الأوساط . وقد أكد توفيق هذا للمحكمة انه ولد سنة ١٩١٨ ، وزعم انه حمله في حضنه حين كان طفلا ، ولكنه لم يدخل الكلية

العسكرية بالرغم من ذلك ، لأن أباه رفض ذلك .

ويكبر عدنان صبري ابن خاله عبدالملك نوري بستة أشهر .. كان عدنان أول طفل في العائلة لذلك حظي برعاية خاصة من قبل خالته الكبيرة . التي كانت تهتم بشؤون العائلة وتعد الموجّه لها بعد والد عبدالملك المرحوم عبداللطيف نوري .. ووصل هذا الاهتمام بعدنان الى حد الدلال الذي قد يفسد المرء أحياناً ..

وبالفعل ظل عدنان أسير تلك الرعاية الخاصة ولم يكن في كبره قوياً معتمداً على نفسه بل أصبح يميل الى الاعتماد على الآخرين ، ملولا ، غير مكترث للكثير من الأمور الحياتية ، ونتج عن ذلك انه لم يكمل دراسته في كلية الحقوق حيث تركها وهو في الصف الثاني في تلك الكلية .. ورغم هذا لم يكن موقعه في العمل ذا شأن قليل حيث عُين في السلك الدبلوماسي وشغل عدة مواقع في سفارات العراق في الخارج ..

ولعبدالملك نوري ذكريات خاصة مع ابن عمته حيث كانا طالبين مشاكسين في سنوات الابتدائية وكثيراً ما أبدى معلموهما تبرمهم وجزعهم من (شقاوة الطالبين) التي لم تكن على مستوى المدرسة وحدها حسب ، بل امتدت الى طريق الوصول من البيت الى المدرسة ..

ففي ذلك الطريق كانت (شقاوة) الطالبين مع (حوذي العربة) التي تقلهما الى المدرسة ذلك الحوذي الذي كان كثير الخوف والجزع منهما وعليهما حيث كان عبدالملك وعدنان ينزلان من العربة بسرعة وهي في حالة السير ثم يجريان خلفها ويجانبها وأمامها . ويصعدان إليها بسرعة أيضاً .. وكان هذا الصعود والنزول السريع يثير الخوف لدى حوذي العربة الذي إئتمنته العائلة على الطفلين .. ومن المفارقات التي كانت تحصل مع الحوذي ان النزول والصعود لم يكن مشاكسة عند الطالبين حسب ، بل لعبة يستمتعان بها فأحدهما يعد (واحد .. أثنان) وكلمة (أثنان) تعني النزول السريع من العربة وبعد أن يجريا بجوارها يعدان مرة أخرى (واحد .. أثنان) ليصعدا بسرعة أيضاً ومع هذا الصعود والنزول كان قلب الحوذي يصعد وينزل خوفاً .. وكان صراخ العمة يتعالى كي لا يفعلا ذلك .

ومن خصوصيات عبدالملك نوري انه يحب منذ وقت مبكر الاستماع الى (جهاز الراديو) الذي كان في سنوات الاربعينات والخمسينات أهم وسيلة اتصال بالعالم حيث الانباء والمتغيرات السياسية المتسارعة التي تثير فيه الحزن أحياناً والفرح أحياناً أخر .. ورغم مرور أكثر من ربع قرن على تطور وسائل الاتصال ودخول التلفاز والأجهزة

الأخرى لمعرفة ما يحدث في العالم إلا ان عبدالملك ظل مصاحباً لجهاز الراديو وظل مستمعاً مزمناً لنشرات الأخبار العالمية التي يطّلع من خلالها على آخر الأخبار في العالم .

العلاقة مع والده :

عبداللطيف نوري البغدادي المولود في عام ١٨٨٨ والمتوفى عام ١٩٥٧ والد القاص عبدالملك . أسهم في وضع اللبنات الأساسية لتوجهه الأدبي . عامل ولده بود واحترام وشجعه على اختيار الطريق الذي أراده ، حتى وإن كان ذلك الطريق مخالفاً لرغبات الوالد ان عبدالملك نوري كان مدللا في طفولته وكانت احتياجاته تلبى على وجه السرعة .. وحين أصبح عبدالملك قاصاً معروفاً ، سأله والده عن السبب الذي دعاه لحذف اسمه من توقيعه فأجابه .. بأنه يحب اسم جده .. عندها قال له والده : انك أذكى مني .

عرف عبداللطيف نوري ولع ولده بالقراءة ، فهو أيضاً كان يحب القراءة مثل ولده ويقرأ ما يجلب له عبدالملك من كتب ثم يلخص تلك القراءات في دفتر خاص حتى تعرف عبداللطيف نوري على الاشتراكية من الكتب التي جلبها ولده إليه .

وقبل ان يتوفى عبداللطيف نوري ، نظر الى عبدالملك وقال له وهو على فراش الموت :

- يمكنك الاعتماد على نفسك الآن ، عليك الاهتمام بالعائلة .. وابتسم وودعه الى الابد ..

يقول عبدالملك نوري :

- لم يضربني أبي يوماً ، ولكني حين كنت في الحادية عشرة من العمر . لا أذكر ماذا قلت له . وإذا به يحتد ويرفع يده ليضربني . لكني أمسكت بيده محاولا منعه من ضربي .. في هذه اللحظة وقف مذهولا ولم يقل لي أي شيء ، لكنه لم يكررها .. لا أدري كيف فعلت ذلك في تلك اللحظة .

رغم ذلك فقد كان عبدالملك نوري يزعج والده كثيراً بعد ان أصبح وزيراً للدفاع ، حيث كان يثقله بطلبات أصدقائه الفقراء والمحتاجين . هذا فضلا عن عدد من الطلبات الخاصة بالعاطلين الذين ينوون العمل في دوائر الدولة آنذاك .. فلم يتورع عبدالملك نوري عن إيصال أي طالب عمل أو محتاج الى أبيه وهو وزير الدفاع مباشرة في مقر وزارته لقضاء حاجته وذلك عن طريق السكرتير أو المرافق .

وبحكم تربية والده العسكرية وقف في صف النظام الملكي ، وفي انقلاب « بكر صدقي » تسلم والده « عبداللطيف نوري » وزارة الدفاع مدة قصيرة .. لكن هذا



عبدالملك نوري في بداية عمله الدبلوماسي

الوضع الجديد الذي وجد « عبدالملك » نفسه فيه ، لم يغير من انتمائيته للواقع ، وعندما كانت الأسرة تجتمع على المائدة وقت الغداء ، كان عبدالملك يجدها فرصة للحديث عن البطالة والفقر والأمية والأمراض والجهل . حتى ان أباه كات يبتلع لقمته بصعوبة ، فتبدأ بعدها رحلة التعنيف ، ولم يكن الأب مسؤولا عن الوضع في حين كان الابن يتحدث وكأن الأب هو المسؤول عن كل ذلك . وحين سافر والده بعد ذلك الى أوربا وكان مصاباً بـ « القرحة » تصور عبدالملك انه أحد أسباب القرحة .

فقد كان عبدالملك منذ طفولته مهتماً بالقضايا الوطنية ، ويدخل في حوارات سياسية حادة مع زملاء الطفولة والدراسة ، هذا التوجه هو الذي دفعه الى ان ينهي المرحلة الاعدادية في بيروت « الجامعة الأميركية » بعد مقتل « بكر صدقي » .. وقد كان أبوه في تلك الفترة شبه منفي الى سورية ، فسافر الى والده وفوجيء الوالد بحضوره في الفندق الذي كان يسكن فيه ، فبرر له حضوره المفاجيء بأن الشرطة أخذت تلاحقه في بغداد وهو عازم على السفر الى بيروت لتقديم أوراقه واكماله الدراسة الاعدادية في الجامعة الأميركية .

وكان عبدالملك قد قدم لأبيه صورة أكبر من حجمها

من أجل ان يوافق على سفره الى بيروت واقتنع الاب بما قدمه الابن في صورة مضخمة .

في مدينة دمشق عاش عبدالملك نوري في بيت واسع جميل في منطقة « الصالحية » كان مكوناً من طابقين وحديقة واسعة وباحة . وكان البيت يطل على نهر بردى وفيه حديقة خلفية جميلة ، وكان عبدالملك يخرج من الباب الخلفي وقت الغروب ويجلس على الشاطيء .

في تلك الحقبة كان عبدالملك يدرس في الجامعة الأميركية في بيروت ، يعود الى أهله في دمشق في عطلة الجامعة الصيفية . وكان أهل دمشق يسمونهم بيت « الأمير البغدادي » لأنهم عرفوا ان من ضمن أثاث المنزل صندوق ثلج وأثاثاً جيداً وطباخاً يطهو لهم الطعام . وفي جانب المنزل كان هناك جزار يوفر لهم أنواعاً مختلفة من اللحوم .

ويصف عبدالملك نوري السوريين بقوله :

- السوريون وطنيون ، كان لي أصدقاء كثيرون هناك ، أخرج معهم أتناول الجعة وأحاورهم في شؤون الأدب ، وقد كنت في تلك المدة مولعاً بالأدب الإنكليزي .

عام ١٩٣٩ عاد عبداللطيف نوري مع عائلته من دمشق . وعاد معهم عبدالملك بعد أن أنهى الاعدادية في بيروت . أتى الى بغداد ، وقدم أوراقه الى الكلية الطبية ،

لكن إدارة الكلية رفضت قبوله ، ليس بسبب المعدل ، وإنما بسبب انه ابن « عبداللطيف نوري » على أثرها قدم عبدالملك أوراقه الى كلية الحقوق .

المرأة والإبداع :

عن تأثير المرأة في عوالمه الإنسانية والإبداعية يرى عبدالملك نوري ان المرأة في العمل الفني لم تكن زائرة مجزدة تؤطر القصة أو المسرحية بل كان لها وجود رئيس ومؤثر تأتي الى العمل بصفة التكوين والخلق الإبداعي ، لأنه شخصياً مر بعلاقات كثيرة أثرت في تكوين رؤيته للعالم .

ومن تلك العلاقات العلاقة التي جمعته في آن واحد مع فكتوريا نعمان أقدم المذيعات في بغداد وزوجته أمة العزيز الزهاوي قبل أن يتزوجها ، فقد كان طالباً في السنة الرابعة من كلية الحقوق ، وكانت فكتوريا في الصف الاول من الكلية نفسها ، وهو لا يدري كيف أحبها ولكنه متاكد من انه تعلّق بها .

كانت أمة العزيز الزهاوي تنافس تلك المرأة وتكتب له بين حين وآخر ، وهو يكتب لها ، ولكنه يعتقد ان أمة كانت تغار من فكتوريا بشدة قد تصل أحياناً حـد الكره ، وبين الاثنتين عاش عبدالملك نوري مرحلة قلق واختيار ،

انتهت أخيراً باختيار أمة العزيز الزهاوي لانه أحبها من الاعماق ، وبعد هذا كتبت له أمة قصتين بالعامية .

وكانت لعبدالملك علاقة أخرى جرت أحداثها في فرنسا ، واستمرت مدة ثماني سنوات تخللها اللقاء المباشر والمراسلة ، كانت تلك العلاقة مع معلمة هولندية اسمها (أكاثا) وهي معلمة في مدرسة للصم والبكم في هولندا ، عرفها عبدالملك نوري في باريس بصبحة الروائي فؤاد التكرلي وشقيقه الأديب نهاد ، كانت أكاثا وشقيقتها ، فكوّن نهاد علاقة مع شقيقتها ، في حين ارتبط عبدالملك بها بعلاقة حميمة .

والغريب في الأمر ان (أكاثا) رغم تجاوزها سن العشرين - وهي أصغر منه بـ ١٤ سنة - كانت باكراً ، وقد تزوجها دون عقد مكتوب ، واستمرت علاقته معها على شكل حلّ وترحال يذهب إليها للقائها في باريس وامستردام وتأتي هي إليه الى باريس أحياناً ، ومن المفارقات ان تلك المرأة كانت أطول من عبدالملك نوري ، لهذا كان يضطر ، حينما يتجول معها الى الصعود على الرصيف وتبقى هي سائرة في الشارع لكي لا يبدو منظر الاثنين نشازاً ، وعلى الرغم من انهما كانا قد اتفقا في البداية على عدم الزواج ، ولكنها أخبرته بعد خمس

سنوات بأنها تقدمت في العمر وتريد الاستقرار والزواج منه لانها تخاف المستقبل . ولكنه أجابها بانه لا يعرف هو نفسه مستقبله فكيف يرتبط بها .

يرى عبدالملك نوري ، إذن ، ان أول حب في حياته كان حبه أمة العزيز الزهاوي التي أصبحت زوجته فيما بعد ، وكانت طبيبة تترجم بعض الموضوعات العلمية وتنشرها في مجلة (الوطن) . ويقرر انه لم يحب غيرها لا قبلها ولا بعدها ، وقد أحبها منذ كان عمره سبعة عشر عاماً ، وكان قد عرفها عن طريق العائلة ، ولكنه يقرر أيضاً انه كانت لديه علاقات عابرة مع نساء ، لا سيما إبان عمله في السلك الدبلوماسي ، كانت أمة العزيز الزهاوي تكبره بستة شهور ، وقضيا معاً سبع سنوات .

كانا يلتقيان معاً في الكلية الطبية ، وكان يغني لها أمام بيتهم ويناجيها بطريقة تشبه مناجاة روميو وجوليت ، كان بيتهم في منطقة العيواضية ، وهو يقف في الشارع ويغني لها وهي تقف في الشرفة ، ويقطع الشارع أحياناً رواحاً ومجيئاً ، يغني لها وهي تضحك قدم لي أثناء سرد سيرته مقطعاً غنائياً باللغة الإنكليزية وحين طلبت منه أن يترجم ذلك المقطع شرع بترجمته قائلا :

ـ خلال الليل والنسمات تهبّ من أشجارِ الليل



زوجة القاص الدكتور
أمة العزيز ظافر الزهاوي



عبدالملك نوري والهولندية
(اكاثا) التي التقاها في باريس

كان الحب هو الذي قاد قدمي الى غرفتك .

ومن الطرائف انه في أثناء غنائه لأمة العزيز الزهاوي بتلك الطريقة الرومانسية القديمة كان يصفّر لها مع الغناء ، لأن الغناء يجذب الانتباه ، وحين يعقبه بالصفير لم يكن أحد يفهم هذا ، فتخرج الى الشرفة مرتدية ثوباً أبيض والضوء خلفها ، فتبدو أشبه بملاك .

ومن أجل التقرب الى تلك الحبيبة تقدم عبدالملك نوري عام ١٩٣٩ من أجلها الى كلية الطب ، بعد نجاحه الى الصف الثاني من كلية الحقوق ، وقبلت أوراقه فعلا ، ولكنه رُفض أخيراً ويعزو سبب رفضه رغم نجاحه في الاختبار ورغم لغته الإنكليزية الجيدة ومعلوماته المناسبة في الكيمياء والرياضيات ، الى ضغط سامي شوكت شقيق صائب شوكت . الذي أراد التقرّب من الحكومة التي كانت تكره أباه لانه اشترك في انقلاب بكر صدقي ، وكان سامي شوكت آنذاك وزيراً للشؤون الاجتماعية .

ورغم تلك الخيبة في القبول في الكلية الطبية ، استمرت علاقة عبدالملك نوري بأمة العزيز الزهاوي وحصل الاتفاق على الزواج ، كانت التقاليد آنذاك لا تسمح بأن تكون المرأة صاحبة العصمة على الرجل ، لكنه تحدى تلك التقاليد ، وهكذا حصل الزواج وكانت العصمة بيد الزوجة

المحبوبة .

وتزوجا بعد التخرج ، وعاشا زوجين عند أهلها في منطقة الصليخ ، كان عبدالملك عاطلا عن العمل أما هي فكانت طبيبة ، وكانت تترجم بعض المقالات العلمية وتنشرها في مجلة (الوطن) التي ينشر فيها عبدالملك أيضاً . ولكن هذا الزواج لم يستمر طويلا فعندما ذهبت (أمة) الى أمريكا لإكمال دراستها في التخصص الطبي وبقي هو في بغداد ، بعثت إليه برسالة تقول فيها :

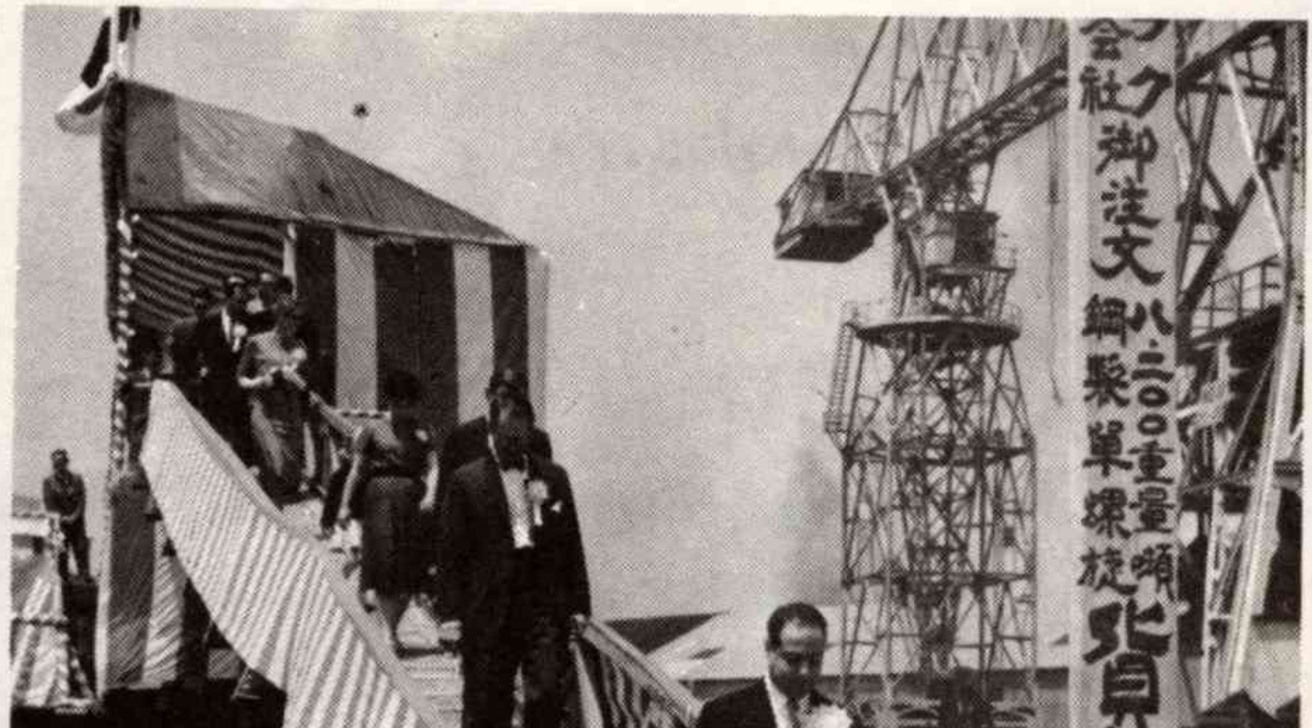
- تعال الى أمريكا لتعيش فيها مدة سنتين .

وحين رفض مغادرة بغداد ، بذريعة انه ثوري يحس ان بلده بحاجة اليه الآن ! حدث الانفصال بينهما لتنتهي تلك العلاقة القديمة ، وهو لا يعرف عنها حالياً سوى انها تزوجت من طبيب لبناني الأصل يعيش في أمريكا وقد رزقت بولدين وهي ما تزال على قيد الحياة .

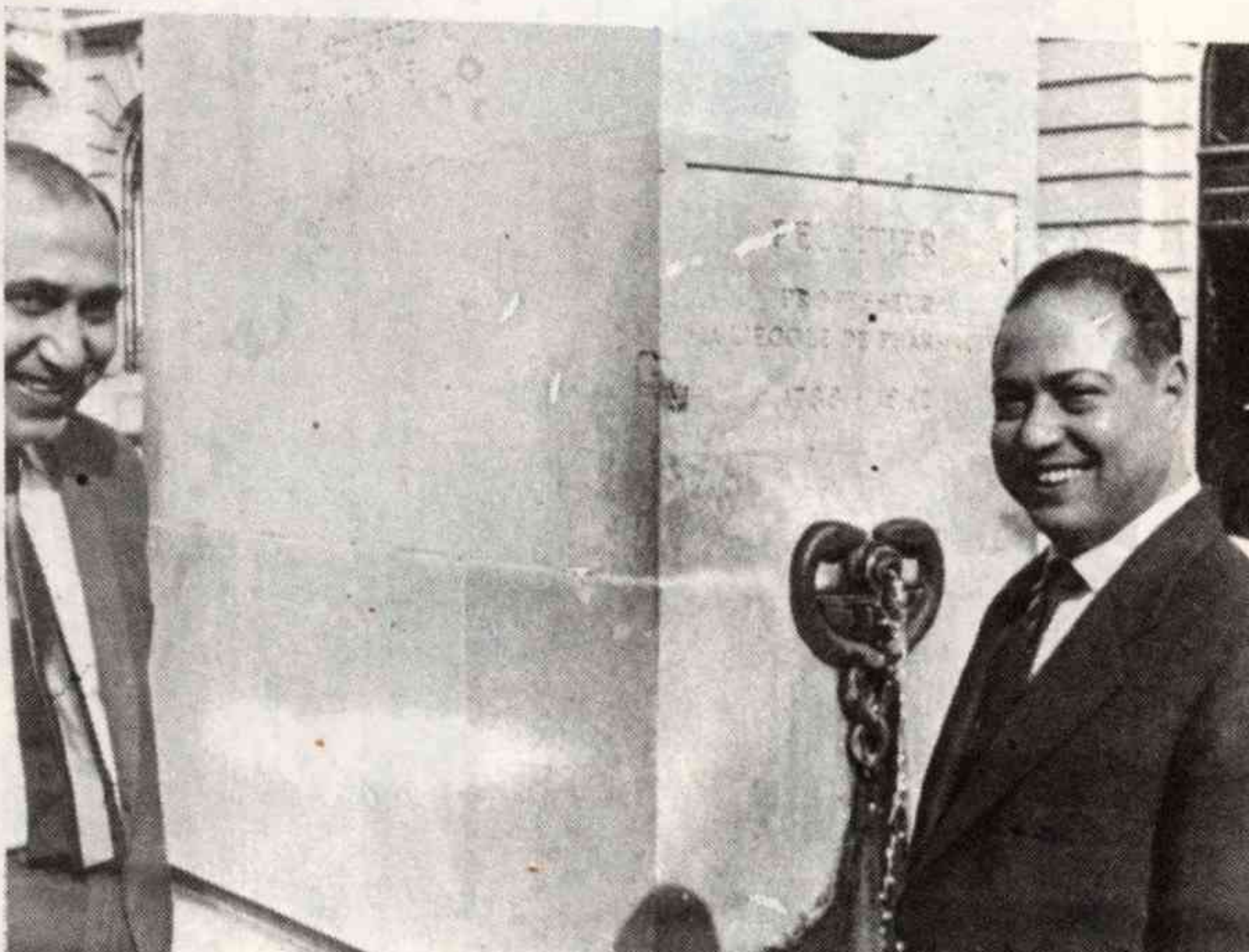
كان الحب موضوعاً لواحد من الأحاديث التي جرت بيننا ، لكن عبدالملك نوري في لحظة التألق والتأمل ، يقفز فجأة الى الزواج ويتحدث عن تجربته فيه .

ونحن نتحدث عن أجواء مليئة بالرومانسية عاد عبدالملك لى قراءاته في هذا الموضوع قائلا :

- لقد قرأت كتاب « الزواج المثالي » للكاتب الهولندي



في الستينات عندما كان قائماً بالاعمال في طوكيو



عبدالملك نوري والناقد نهاد التكرلي في بداية الستينات في باريس

(فاندين فيلد) لأتعلم ويشكل حضاري معنى هذا العش ، لأنني كنت أردت أن أتعلم الكثير منه ، قبل أن أرتبط (بأمة العزيز الزهاوي) وتعلمت بالفعل الكثير منه .

قلت له :

ـ تعلمت منه وأنت ما زلت غير مرتبط (بأمة العزيز) بعد .

قال :

ـ نعم ، لقد كنا نتبنى فكراً تقدمياً آنذاك ، وحاولنا في علاقتنا أن نحطم التقاليد البالية . حتى وصلنا الى حالة مزقنا فيها ذلك التقليد الذي يعتز به كل اثنين في ليلة زفافهما . ففي ليلة العرس ارتدت (أمة) فستاناً وردياً غير ذلك الذي اعتادت النساء ارتداءه .. كانت تقبّلني من رأسي الى أسفلي .. هكذا قلبنا التقاليد ، لأنها كانت تحبني ، حتى اننا بعد الزواج اتفقنا على أن يساعد الواحد منا الآخر في أعمال البيت ، لكن هذه الحقيقة لم تصمد أمام أحلامنا كزوجين . لأنها لم تقر أبداً بأن حياة الكاتب لها طقوسها وعوالمها الخاصة . وكلما أوغلت في صنع عالم جديد في القصة كانت تدمر هذا العالم وتطلب مني أن أقوم بواجبات البيت . لقد كانت هذه الطريقة في التعامل ، هي إحدى أسباب الانفصال بيننا . لهذا كتبت أفضل القصص

بعد الانفصال .

● صمت قليلا ثم نظر إليّ وأضاف ضاحكاً :

ـ نعم ، كانت النساء تحطم عوالم الكتابة عندي ، ففي اليابان وأندونيسيا مثلا ، لم أكتب أية قصة . لان الجنس شدني الى عوالمه أكثر مما شدني أي عالم آخر إليه . لقد كن عجيبات ورائعات في هاتين الجزيرتين .

بداية الحياة السياسية :

تبلورت حياة عبدالملك نوري السياسية في حقبة الأربعينات من هذا القرن . فقد عمل يومئذ في تنظيمات (حزب الشعب) حين كان مصرحاً لذلك الحزب بالعمل . ولكن بعد مدة من الزمن ألغيت اجازة ذلك الحزب . ويرى عبدالملك نوري ان هناك تناقضاً بين هذا الحزب والأحزاب الأخرى العاملة في العراق ، وبخاصة المصرح بها . ويكمن التناقض ان ذلك الحزب كان أكثر من غيره في بداية الأربعينات قرباً الى الشعب . لهذا استمرت علاقة عبدالملك نوري بذلك الحزب حتى بعد سحب الاجازة منه . فهو لم يتركه إلا في حقبة الخمسينات . حين توقفت نشاطات الحزب السياسية ، هذا فضلا عن انه غير مهتم بها ، والذاكرة قد لا تعينه على رؤية الأشياء وسردها بوضوح ..

وقد أصبح عبدالملك نوري عضواً في اللجنة المركزية لحزب الشعب أيام زعامة عزيز شريف لهذا الحزب . وأسهم في إصدار جريدة الوطن وأشرف عليها وأشرف كذلك على مجلة (المجلة) اضافة الى كتاباته في الصحف والمجلات الأخرى .

وقبل أن يدخل عبدالملك نوري في عضوية حزب الشعب ، تطوع مع الشباب الوطني آنذاك للعمل في وزارة الاقتصاد إبان اندلاع حركة مايس ١٩٤١ . حيث كان الشهيد يونس السبعاوي وزيراً لها .

وكان التطوع للعمل في تلك الوزارة يعني الالتزام التام بأوامرها الصارمة .. وبالفعل أُرسل عبدالملك الى منطقة (كي ثري) حيث مخازن شركة النفط وأُمر ومَنْ كان بصحبته بالسيطرة عليها . ففي تلك الأيام كانت هناك محاولات لسرقة مخازن الشركة من قبل بعض المدنيين . ولكن ثورة مايس لم يكتب لها النجاح وفشلت لأسباب معروفة .. وكان فشلها قد جعل مناصريها يتخلون عن واجباتهم المكلفين بها .. وهكذا عاد عبدالملك نوري الى بغداد عن طريق بيجي .

● ويروي عبدالملك نوري هذه الحادثة :

- قبل أن أذهب الى (كي ثري) ، كان قد عهد إليّ

بالسيطرة على أحد كراجات بغداد . حيث حجزت سيارات الإنكليز وكانت من ضمنها سيارة سبورت صغيرة تعود لزوجة الطبيب الإنكليزي « سندرسن » الذي عمل آنذاك أستاذاً في الكلية الطبية الملكية .

كنت أستعمل هذه السيارة في ذهابي الى البيت مساء كل يوم . حيث لم تكن هناك وسائل نقل . وعند انتهاء حركة مايس وجدت انني قد وقعت على وصولات باستلام السيارة وبعض غالونات البنزين ، ربما اثنين أو ثلاثة فقط .. وعليه أمرت حكومة نوري السعيد باعتقالي وإرسالي مخفوراً الى معسكر الفاو .. وبعد بضعة شهور نقلت الى معتقل سامراء ومن هناك أطلق سراحي .

قبل شهرين من بداية الامتحانات النهائية للدراسة الجامعية .خرج عبدالملك نوري من السجن بعد تسعة أشهر قضاها فيه ، كان في الصف الثاني من كلية الحقوق وبعد الافراج مباشرة حاول الاشتراك في الامتحانات النهائية ، فذهب الى عميد الكلية منير القاضي وهو شقيق نوري القاضي سكرتير مجلس الوزراء في عهد نوري السعيد . كان قبول الاشتراك في الامتحانات النهائية يجري بعد موافقة عميد الكلية على طلب تحريري يقدم له ، يشرح فيه مقدم الطلب الاسباب التي جعلته يترك الدراسة ، ووفق

هذا الأساس كتب عبدالملك نوري عريضته الى عميد الكلية . فكان جواب العميد رفض الطلب ، وهنا سأله عبدالملك نوري عن الاسباب التي جعلته يرفض الطلب وهل هذا يعني انه يريد أن يوقع عقوبة أخرى به اضافة الى عقوبة السجن . فأجابه العميد بتشدد أكثر قائلا :

- اذهب وان الرفض نهائي .

فحرمه هذا الجواب من دخول الامتحانات النهائية لتلك السنة . وفي السنة الثانية . انتظم عبدالملك نوري في دوامه آملًا أن ينجز دراسته الجامعية بشكل اعتيادي وبالفعل دخل الامتحان واجتاز المرحلة الثانية .

عُين في محكمة بداءة بغداد بعنوان ملاحظ . حدث ذلك عام ١٩٥٠ وبقي في وظيفته هذه مدة خمس سنوات . ولكن هذا العمل اصطدم بمعوقات عدة منها رفض عبدالملك نوري للأوضاع السائدة في العهد الملكي ، الأمر الذي جعله لا يتدرج بشكل اعتيادي في التسلسل الوظيفي .. وكثيراً ما اصطدم مع مديره بسبب طريقته في تصريف العدالة في القضايا التي ترسل الى تلك المحكمة . ويشير عبدالملك في هذا الصدد الى ان سبب اصطدامه مع إدارة المحكمة كانت تتلخص برفضه الرشوة التي تسير أحياناً قرارات المحكمة آنذاك .

ففي عام ١٩٥٥ فُصل عبدالملك نوري من وظيفته في المحكمة . وبعد فصله من الوظيفة أُرسل الى منطقة السعدية للتدريب العسكري . بصفته من الجنود الاحتياط ومكث هناك مدة سبعة شهور . وفي عسكريته زامل عبدالملك نوري بعض الطلاب والموظفين الذي فُصلوا لاسباب سياسية أيضاً وكان من بين هؤلاء الشاعر رشدي العامل . وعن هذا الموضوع أسرني المرحوم رشدي العامل . ان عبدالملك نوري كان يغني أغاني ثورية في القطار وكان يحلم بالقيام بثورة شعبية .

وحين سألت عبدالملك عن هذه الحقيقة قال لي :

ـ نعم ، كنت أغني . وكانت معظم أغنياتي وطنية ثورية ، كنت أنوي من خلالها تثوير الحماس في داخل رفاقي ، إذ طالما حلمت بالثورة الشعبية آنذاك .. كنا نزور بعض السجناء السياسيين في سجن بعقوبة . وقد مُنعنا من ذلك ، لكن بعضنا لم يأبه بالأمر ومن ضمنهم المرحوم الدكتور صلاح خالص . فأوقفوا . على أثر ذلك قمنا باضراب من أجل اخراجهم من السجن وما ان بدأ الاضراب حتى أُرسل المضربون الى المحكمة.. ولكن بعد أخذ ورد مع المحكمة ، اتخذت بحقنا عقوبات تأديبية ، وسجن صلاح ورفاقه مدة سنتين .

أما الفنان يوسف العاني فيقول :

- إن عبدالملك نوري كان معي في معسكر السعدية . وكان آنذاك أكثر العسكريين أناقة ، حيث كان يضع بدلته تحت الفراش ويصبغ حذاءه ويهتم بتلميعه كثيراً .

ويؤكد الفنان عبدالأمير الصراف :

- ان عبدالملك نوري كان أول مَنْ يدخل قاعة الطعام بعد انتهاء التدريب ، ولكنه كان أول مَنْ يغادر القاعة أيضاً ولا يتناول من الطعام إلا كمية قليلة .

وقد أبلغني عبدالملك نوري انه كان يذهب مع الفنان عبدالأمير الصراف الى خانقين للتنزه هناك . وانه يستلطفه كثيراً .

وبعد اطلاق سراحه عاد للعمل في المحاماة . وبسبب ارتباط عبدالملك نوري بالحركة الوطنية في العراق آنذاك فقد كان معظم القضايا التي يتولى الدفاع عنها سياسية .

بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ شغل عبدالملك نوري منصب مدير تحرير مجلة الزراعة وقدم لاول مرة برنامج الاصلاح الزراعي من الاذاعة . وفي عام ١٩٥٩ كانت هناك طلبية للموظفين للتعيين في وزارة الخارجية ، ولما كان عبدالملك نوري موظفاً في وزارة الزراعة تقدم للتعيين في الخارجية . كان هاشم جواد وزيراً لها آنذاك وهو



القاص أثناء خدمته العسكرية في معسكر السعيدة
سنة ١٩٥٥



عبدالملك نوري وفؤاد التكرلي وخلفهما الفنان يوسف العاني والباحث
عزيز الحجية في إحدى جلسات إتحاد الادباء سنة ١٩٦٩

الشخص المسؤول عن اختبار المتقدمين الى الوظائف في السلك الدبلوماسي ولما كان عبدالملك يتقن اللغة الإنكليزية بشكل جيد ، نجح في الاختبار الاول ، وعين رئيساً لشعبة الدراسات في ديوان الوزارة وكانت مهمة هذه الشعبة كتابة التقارير عما يدور في الدول الأخرى ، خصوصاً وضعها السياسي . وبعد نجاحه في هذا العمل تقرر تعيينه قائماً بالاعمال في أندونيسيا ومن ثم اليابان وجيكوسلوفاكيا .

بقي في أندونسيا من عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ . وبسبب طبيعة عمله هناك تعرف على رئيس جمهوريتها « أحمد سوكارنو » . وكانت تربطه به علاقة طيبة جداً . ومن جملة ما قدمه لبلده العراق ولقضيته القومية . إنه احتج على دعوة الوفد الصهيوني لحضوره الدورة الأولمبية . ولم تتقدم أية سفارة عربية أخرى بهذا الاحتجاج قبله . وقد كان من ثماره أن منع الوفد الصهيوني من الاشتراك في الدورة ، ونتيجة لهذا العمل قدمت له الأمانة العامة لجامعة الدول العربية كتاب شكر وتقدير لجهوده في إبعاد الوفد الصهيوني عن تلك الدورة . أما بالنسبة لحكومته فلم تعرف بالامر إلا بعد أن نُشر خبر صغير في الصحف المحلية لم يذكر فيه حتى اسم عبدالملك نوري .

● أما عن ذكرياته في أندونسيا فيقول :

ـ حين كنت في جاكارتا زارني عزيز شريف لتسليم رسالة من عبدالكريم قاسم الى سوكارنو . وكانت هذه هي المرة الأولى التي اطلع فيها على تبادل الرسائل بين الرؤساء . أو مَنْ يمثلهم . وعرفت ان هذه الرسائل كانت توضع في محفظة جلدية مرتبة ومنظمة جداً . كان عزيز شريف حينها رئيس منظمة أنصار السلام . ومن المفارقات ان الطباخة الأندنوسية تعلمت إعداد أكلة (كبة حامض شلغم) من زوجة سكرتير السفارة العراقية . وحين أخبرت عزيز شريف بذلك . استغرب وأكل بشهية ونهم ، حتى انني خفت عليه لانه كان مصاباً بالسكري .

وفي براغ بقي ثلاثة أشهر ، ولكنه وفَّر المال لكي يبقى هناك بعد ان أحيل على التقاعد . ومن هناك ذهب الى استانبول وبعدها الى لبنان . ثم جاء الى بغداد عام ١٩٧٠ . وبعدها أضطر للاشتغال لمدة عشرين شهراً لأنه كان مديناً للدولة . وكان يتقاضى في العشرين شهراً راتباً تقاعدياً ، ولم يكمل ديون الدولة التي بذمته إلا في عام ١٩٨٦ .

لقد بقي في براغ موظفاً رسمياً لمدة شهر واحد فقط . أما الشهران الآخران فقد بقي على حسابه الخاص .

ثم استدعي للحضور الى ديوان وزارة الخارجية ليتسلم أمر احالته على التقاعد .

شخصيات عرفها :

من أبرز الشخصيات التي عرفها عبدالملك نوري ، نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي إبان العهد الملكي ، وتمر تلك العلاقة باتجاهين ، فنوري السعيد كان صديقاً لوالده وفي الوقت نفسه قريباً لأمه ، والاتجاه الثاني المعاكس ان عبدالملك نوري كان يعارض السياسة البريطانية في العراق ، على الرغم من تلك العلاقة الوطيدة بين والده ونوري السعيد الذي كان من مشجعي تلك السياسة في العراق ، وتمتد تلك العلاقة الى ان نوري السعيد كان يدلل عبدالملك نوري بتسميته « ملوكي » كما تطلق عليه عائلته تلك التسمية ، وكان يصفه بـ « الراكض الدائم » ، رغم ان عبدالملك كان دائم التنديد بسياسة نوري السعيد في خطاباته التي كان يلقيها في مقر حزب الشعب ، ورغم انه كان يدافع عن الكثير من الأشخاص في المحاكم بسبب احترافه المحاماة آنذاك .

ويبدو ان عبدالملك نوري لم يلتق الملك غازي ، غير انه كان على علاقة ما ببكر صدقي أذ كان يلتقيه ويراه

في مناسبات خاصة ، وقد شجعه بكر صدقي في إحدى المرات على دخول الكلية العسكرية لكن والد عبدالملك رفض ذلك .

ومن العلاقات التي تنبغي الإشارة إليها علاقته بالاديب ذي النون أيوب ، التي بدأت بانتقاد عبدالملك نوري لاعمال ذي النون أيوب التي قال عنها مرة : ان ذا النون أيوب لا يكتب القصة بل المقاصة ، أي ان ما يكتبه يقع بين القصة والمقالة ، مما جعل ذا النون أيوب يرد عليه بهجاء شعري ، ولكن عبدالملك لم يغضب من ذلك لاعتقاده بطيبة قلب ذي النون أيوب .

وممن كانت تربطه به علاقة احترام المربي عبدالفتاح ابراهيم الذي يعده صديقاً له ، ورغم انه لم يكن ينسجم معه بسبب تزمت ذلك المربي وجفاف طبيعته ، إلا انه يعده ذا فضل عليه لانه درّسه مادة التاريخ في المتوسطة الغربية وتعامل معه بطيبة كبيرة .

كذلك أحب عبدالملك نوري ابراهيم كبة كثيراً للطفه الكبير ولقربه منه ، ويعده عبقرياً . كما تعرف أيضاً الدكتور صلاح خالص الذي التقاه كثيراً أثناء العهد الملكي ، وحين تم الشروع بتأسيس اتحاد للادباء العراقيين ، ذهب عبدالملك مع صلاح خالص الى الرئيس عبدالسلام محمد

عـارف والتقيا معـاً ، ومن الطرائف في هـذا اللقـاء ان عبدالسلام عارف قال للاديبين :

- اجعلا أمريكا وبريطانيا تعترفان بنا وبثورتنا وبعدها سنوافق لكما على تأسيس اتحاد الادباء .

وتعرّف عبدالملك نوري أيضاً ، عبدالجبار وهبي وأحب شخصيته ، وكان هذا يزوره في الاربعينـات متخفياً ، وفي إحدى المرات طلب عبدالجبار من عبدالملك ان يشاركه (الشرب) إلا ان عبدالملك أجابه بانه لا يشرب إلا في بار (بلقيس) والتقيا هناك فعلا وتنادما في ذلك المكان معاً .

كما تعرف يونس الطائي صاحب جريدة (الثورة) في حقبة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وقد التقاه في اليابان حيث كان الطائي في زيارة لها ، وتحدث إليه بشأن ما حدث في بغداد إبان حكم عبدالكريم قاسم ، وكان موقف عبدالملك نوري سلبياً من ذلك ، إلا ان يونس الطائي نقل هذا الموقف الى عبدالكريم قاسم ، مما جعل الجهات المسؤولة في بغداد تبرق له برقية تقول فيها :- احضر الى بغداد .

وممن يعتد بصلته به المحامي عبدالرحيم شريف شقيق عزيز شريف الذي يقول عنه عبدالملك : انه واحد من أنزه الناس . إذ كانا معاً يقومان بحل مشكلات العمال في المطبعة التي تصدر جريدة (الوطن) الناطقة بلسان

حزب الشعب .

أما نهاد التكرلي وشقيقه فؤاد فهما صديقان لعبدالملك نوري منذ زمن بعيد ، وكثيراً ما صادف أن عاشا معه بعض المغامرات ، ولكنه يرى فيهما شخصين مهادنين ، فهو سياسي وهما مستقلان ، ورغم ذلك يعدهما أعز صديقين له ويذكر باعتزاز انهما دعواه مرة الى زيارة باريس .

ومن الشعراء الذين يتذكر صلاته بهم رشدي العامل ، الذي تمتد علاقته به الى العهد الملكي .

أما وصفي طاهر المرافق الأقدم لرئيس الوزراء العراقي الأسبق عبدالكريم قاسم فكانت لديه صلات بعبدالملك نوري ، وقد تعرّفه عبدالملك حين كان وصفي طاهر مرافقاً لنوري السعيد وحين ذهب الى السراي ، لمقابلة نوري السعيد التقى وصفي طاهر لتقديم طلب للتعيين وهناك قال له وصفي طاهر :

- أكتب عريضة لنوري وأشرح له فيها طلبك ، ونظراً لصلات عائلية سابقة بين الاثنين (كان والد وصفي طاهر صديقاً لوالد عبدالملك نوري) كتب العريضة بالفعل وقدمها وصفي طاهر الى نوري السعيد .

ومن الشخصيات التي تعرّف عليها عبدالملك نوري في حياته السياسية مؤسس الحزب الشيوعي العراقي (فهد)

وزكي بسيم ، حيث التقى بهما في إحدى مناطق بغداد وتحدث معهما في السياسة كثيراً وحين انتهيا من الحديث معه في أمور السياسة عرضا عليه الانضمام الى الحزب المذكور وبموقع قيادي . وحين سألهما عن منهج الحزب أجاباه : بأن المنهج يكمن في تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي ، وهنا توقف عبدالملك نوري أمام هذا العرض فرأى ان الحزب مجرد تابع سياسي لحزب آخر ، وان عبدالملك نوري الذي يكره التبعية السياسية يرفض الانضمام الى حزب يسير بلا وعي وراء حزب آخر . ويصف عبدالملك عيني فهد بأنهما مريضتان مصابتان بالرمد وتفرزان مواد قذرة .

والتقى عبدالملك خالد بكداش مؤسس الحزب الشيوعي السوري ودخل معه في جدال طويل عن الأحزاب الشيوعية في العالم . وخرج عبدالملك نوري من ذلك اللقاء بملاحظات تشير الى أن خالد بكداش لم يكن مقتنعاً بشخصية فهد السياسية ، حتى انه قال لعبدالملك نوري :ـ إنني استغرب كيف يختار شخص من هذا النوع لتأسيس حزب شيوعي .

هذا الرفض المتكرر للأحزاب الشيوعية جعل الشيوعيين يتهمون عبدالملك بالتروتسكية وكان أشد

منتقديه الشيوعيون اليهود ، وهذا الأمر جعل عبدالملك نـوري يتيقن من ان الحزب المـذكور مسيَّـر من قبـل الصهيونية . وللشيوعيين المقدرة الفائقة في التشهير وتشويه سمعة خصومهم .

أما بالنسبة لمواقفه إبان العهد الملكي . فبعد تخرجه من كلية الحقوق عام ١٩٤٤ عمل في دائرة التموين لمدة سنة وكتب عبدالملك نوري عن الرشوة في هذه الدائرة ، ووصل تقريره الى رئيس الوزراء آنذاك أرشد العمري . وحين اطلع رئيس الوزراء على تقرير عبدالملك نوري طلبه للمثول أمامه ، وبالفعل ذهب عبدالملك نوري الى رئيس الوزراء وبدل أن يقدم له الشكر على ملاحظاته قرّع العمري عبدالملك . عند ذاك قدم استقالته من وظيفته احتجاجاً على موقف رئيس الوزراء منه . وبعد ان قدم عبدالملك استقالته اتصل العمري بوالده قائلا :ـ انه لا يريد أن يوافق عليها لانه ابن صديقه .

لكن والد عبدالملك أجابه بأن له حرية قبولها إذا كان ولده يريد ذلك . لكن قرار الفصل من الدائرة كان قد سبق قبول الاستقالة ، وعندها اقتنع عبدالملك نوري بأن أرشد العمري كان مرتشياً هو الآخر ومتواطئاً مع مدير الدائرة المرتشي

توفي والد عبدالملك عبداللطيف نوري عام ١٩٥٧ .

وحضر مجلس الفاتحة رئيس الوزراء نوري السعيد لتعزية العائلة ، وكان عبدالملك يقف في مدخل البيت في حين يجلس المعزون في باحته وفي غرفة الاستقبال ، وحين جلس نوري السعيد في غرفة الاستقبال جاء بعض أقارب عبدالملك نوري وأوصوه بالجلوس الى جانبه ولو لبضع دقائق لكنه رفض بسبب كرهه له ولسياسته العميلة . ومما يذكر ان نوري السعيد هو ابن خالة والدة عبدالملك نوري . وبعد انتهاء مراسيم الفاتحة ذهب عبدالملك نوري الى البلاط الملكي لتقديم الشكر الى الملك بعد الحاح شديد من قبل عائلته للذهاب الى هناك وتقديم الشكر كما تقتضي الأصول للعائلة المالكة . وهناك التقى بالملك فيصل الثاني والوصي وتحدث معهما في أمور عامة بعد أن شكرهما .

ملاحظات عامة عن عبدالملك نوري

يكاد عالم عبدالملك نوري وعلاقاته يثيران التنوع والاهتمام ، فهو من ناحية متسع العلاقات ومن ناحية أخرى منغلق على ذاته . وتكاد شقيقته ساهرة تكون أكثر الناس قرباً منه ، فهي التي رافقته منذ طفولته ، وهي من قلائل الناس الذين يمكن أن يحددوا الملامح الخاصة لشخصيته وهي ترى انه كان مشاكساً منذ الصغر ، وكان كثيراً ما يعتني بالحيوانات ، فضلا عن تنظيم وجبات طعامه بشكل دقيق ، إذ يفطر في الفجر بقطعة جبن واحدة ثم يتناول غداءه في الساعة الثانية عشرة ، ويتناول عشاءه مبكراً مع الغروب حين لا يضع في برنامجه شرب الخمر ، أما عشاؤه ، كما تقرر شقيقته ساهرة ، فيكون في العادة بيضة مسلوقة وبطاطس مسلوقة أو لوبياء ، انه يهتم بالتنويع في وجباته الغذائية ولا يركز على نوع معين من الطعام .. بل .. يهتم بالأنواع جميعاً ، ويحرص على توفر الخضروات والطرشي والحمضيات .

أما أنا فقد لاحظت ان عبدالملك نوري يضع دائماً ورقة على المنضدة يدون فيها تاريخ اليوم لكتابة منهاج التلفزيون ، كما يضع دائماً محراراً لقياس درجة الحرارة



القاص مع شقيقته ساهرة سنة ١٩٨٨



القاص حين كان طالباً في الجامعة الاميركية في نهاية الثلاثينات

وساعة يدوية وقنينة (كولونيا) ، ويبدو ان وظيفة هذه الكولونيا هي تعقيم أية أداة يلمسها ، وهو ينزعج من الذباب كثيراً .

ومن الواضح انه متعلق على نحو خاص بعالمه البيتي الصغير ، فهو يحب العمل في المنزل ، وكثيراً ما طلب من شقيقته ساهرة أن تعلمه الطبخ ، ولكنها لم تفعل لذلك ظلت أمنية تعلم فن الطبخ بعيدة عن متناوله ، وقد مارس رياضة السباحة والجمناستك ، وهو يقرأ كثيراً ، ولكنه شخصية غير مستقرة على حال لأنه يصاب بالملل فهو رجل غير صبور ، ومن عاداته انه يكره تقبيل الرجال . وإن عقدة قصر قامته تطارده باستمرار . وهو يحب اللون الأزرق ولا يعرف سبباً لذلك . ويعتقد ان الصداقات الحقيقية تلك التي تولد قبل الشهرة ، ولهذا يصف علاقاته مع نهاد وفؤاد التكرلي بأنها صداقة فكرية ، وهو يخاف كثيراً من الموت حتى انه أخبرني بأن هاجس الموت يطارده على نحو دائم .

ويفسّر اهتماماته بالأجهزة العلمية وميله الى تصنيع قسم منها بشكل شخصي بكون هذا الاهتمام استمراراً لعمله الإبداعي في فن القصة ، ويتساءل :

- لماذا يدعون انني انقطعت عن الإبداع ؟ ها ، أنا أقوم بابداع أشياء جديدة ، ويرى ان اهتماماته العلمية

تنفيس لبعض ما في داخله .

فاجأني عبدالملك نوري وأنا أتحدث معه عن هتناماته غير الأدبية بتعلقه بموضوع يختلف عن الأدب ، حيث أسرني بموهبة خاصة في الباراسايكولوجي .

إذ يميز بين الناس وارتياحه لهم على أساس وجود هالة خفية تقربه أو تبعده عن هذا الشخص أو ذاك . ويعلل ذلك بامتلاك كل إنسان لذبذبات خاصة وطاقة حياتية تحيط به بما يشبه الهالة ، ويعيد تاريخياً هذه القناعة الى اكتشاف للروحانيين الهنود جرى قبل ستة آلاف عام وتفرعت منه رياضة (اليوغا) والى ما اكتشفه أحد العاملين في روسيا في العصر الحديث من ذبذبات تجعل هذا الإنسان محبوباً أو مكروهاً من قبل الناس . ويحول هذا الاهتمام النفسي الى اهتمام في مجال الادب ، فقد أحب عبدالملك نوري « توفيق الحكيم » منذ قراءته الأولى له . في حين رأى في العقاد ثقيلا منذ قراءته الاولى ، وقد جاء هذا الاهتمام من قراءاته لكتب اليوغا القديمة ، حيث آمن بأن للإنسان قوة خفية لا يشعر بها . وقد أحال علاقتي به الى تلك الخصلة ، فهو يحس ان بيني وبينه ما يشبه التخاطر .

وتأثر عبدالملك نوري بالباراسايكولوجي لم يكن محدوداً في إطاره الاجتماعي .. بل .. انتقل الى قصصه وشعره ولو بصورة غير واعية وقد أسرَّ لي مرة بأن الإنسان موضع مؤثرات كبيرة لأنه غير معزول عن مجتمعه والكون ، لذلك فان كل ما يحيط به يؤثر عليه . وعرفت من شقيقته (ساهرة) ، انه مارس التنويم المغناطيسي منذ صغره ، وعرفت أيضاً انه مارس رياضة اليوغا مذ كان في السلك الدبلوماسي في اليابان وقرأ بنهم كتب الباراسايكولوجي وحاول مرات تطبيقها على أقاربه وأصدقائه .

ومن عاداته اليومية ، انه يقضي أحياناً ، ساعات فراغه بالمشي على شاطىء دجلة ، ثم يعود الى بيته أحياناً أخرى ، يتبضع احتياجاته المنزلية من سوقي الباب الشرقي وساحة الميدان ، وهو لم يسهر منذ مدة طويلة خارج بيته ، وانقطع عن التردد على المقاهي بعد ان تشتت معظم أصدقائه ، كما ان آخر مرة زار فيها اتحاد الأدباء كانت منذ أكثر من عشرين عاماً ، وقد اصطحبته عـام ١٩٨٩ بعد الحاح شديد لزيارة الاتحاد ، وعرّفته هناك بقسم من الأدباء ، رغم عدم تحمسه للقاء أي منهم .

وهو يمتاز بمزية ربما تكون متفردة في طريقة علاقاته الاجتماعية ، إذ انه يتردد كثيراً في توصيف علاقاته

بالعامة ، وينتمي الى خصوصية الشخص أو ذاته المبدعة ، دون أن يعد هذا الانتماء انتماءً عائلياً أو إجتماعياً واسعاً فمثلا حين توفى الشاعر رشدي العامل أنبأته بالوفاة وحين طلبت منه الذهاب الى مجلس العزاء ، تردد كثيراً ولم يذهب ، وكذلك الحال مع الفنان ابراهيم جلال ، وحين سألته عن السبب أجاب :

- انني أعرف هؤلاء كمبدعين ، وحين رحلوا رحلت معهم تلك الروح المبدعة ، أي انني لا أعرف عوائلهم .. بل .. أعرف روحهم المبدعة التي ذهبت معهم .

هكذا يعلل عبدالملك نوري انحساره في العلاقات الاجتماعية التي غالباً ما تكون مقتصرة على المبدع ذاته .

وهو مغرم بالأطفال ، يحاكيهم بلغتهم وأحياناً يداعبهم ، وكأنه في مستوى أعمارهم ، لذلك فان معظم الأطفال الذين يزورون (جدو ملك) تراهم يلجأون إليه ويداعبونه بالطريقة نفسها التي يداعبهم بها ، ولكن هذا الحب للبراءة يخفي عند عبدالملك نوري خوفاً على حاجيات البيت التي تكسر منها الكثير طوال السنوات الماضية بسبب حركة الأطفال وميلهم الى الشغب .

إن صمت عبدالملك نوري ليس انزواءً أو اعتزالا ، كما يرى .. بل .. مراجعة مع الذات .. مراجعة من أجل

الاكتشاف والتصحيح ، وبعد ان توطدت علاقتي به استطعت أن أخرجه الى العالم ، واستطعت أن أتغلب على شعوره بالعزلة ، وان أمد الجسور معه ، وحين كنت أصحبه في الاطمئنان المتأخر في جولات في مدينة بغداد كان يستغرب مما حصل من تغييرات في المدينة ، وكان يسألني أحياناً هل أصبحت (الكرادة) هكذا ؟! هل أصبح شارع الرشيد هكذا ؟ ! نعم ، كان عبدالملك نوري يندهش كالطفل حين يرى عوالم بغداد الحديثة لأنه كان يحس انه يراها للمرة الأولى باطمئنان .

مواقفه من الأدباء :

ينظر عبدالملك نوري الى الشاعر بلند الحيدري على انه شاعر جيد ، حيث يؤثر شعره كثيراً به وربما لا تعود تأثرات عبدالملك نوري بشعر الحيدري الى أهمية شعره فقط .. بل ، تمتد الى حب عبدالملك لبلند الحيدري ، يصفه بالإنسان المخلص والطيب الذي يحب مساعدة الآخرين .. ففي بيروت كان بلند الحيدري يمد يد المساعدة إليه وبخاصة فيما يتعلق بانجاز قضاياه الأدبية ، حيث استأجر له آلة كاتبة ليساعده في انجاز مسرحية (خشب ومخمل)

وقام بتبديل (الطابعة) عدة مرات . حدث ذلك رغم ان عبدالملك نوري سبق له ان هاجم بلند الحيدري في مقال بعنوان (صور خاطفة من حياتنا الأدبية) .. ولكن رغم قسوة ما كتبه عبدالملك ، كان بلند ينسى كل شيء ويتذكر الإبداع فقط عندما يعامل صديقه القاص .. أخجلت هذه المواقف عبدالملك وهو في بيروت وأكدت له ان الشاعر بلند الحيدري إنسان رقيق لا يعرف الحقد والكراهية .

أما حسين مردان فيصف عبدالملك نوري علاقته به (بالتبني) ويقول انه تبناه مذ كان ملاحظاً في المحكمة .. وربما يعود رأي عبدالملك نوري الى انه كان يقدم في تلك الحقبة وجبة خاصة في كل يوم للشاعر حسين مردان وهذه الوجبة عبارة عن صحن من « الكبة » .. وفي إحدى المرات اشترى عبدالملك نوري جوارب لمردان بعد ان رآه يرتدي حذاءه بدون جوارب .

يصف عبدالملك حسين مردان بالعبقري الذي يحتسي العرق دائماً . وكثيراً ما كانا يجلسان في إحدى الحانات ليشرب عبدالملك البيرة في حين يشرب الآخر العرق .. وفي ساعة الشرب تتفتق قريحة حسين مردان .. لهذا ترى عبدالملك نوري يصفه بالشاعر الفحل ويستمع لأحاديثه عن المغامرات النسائية والجنسية التي يدري انها

غير صحيحة ، ولكنه ، رغم ذلك ، ينشد إليها ..

ومن ذكريات عبدالملك نوري عن حسين مردان انه كان يبيع ديوانه للأصدقاء بمبلغ يحدده حسب درجة علاقته بالصديق .. إذ كان يبيعه لأحدهم بخمسين ديناراً ، ولآخرين بعشرين وهكذا .. أما عبدالملك نوري فكان يهدي إليه الديوان مجاناً .. وهذا الاهداء كان تعبيراً عن قوة العلاقة بين الاثنين .. تلك العلاقة التي بدت منذ أول لقاء تم بينهما وقدم عبدالملك فيه وجبة غداء دسمة لمردان وهي عبارة عن (قوزي على تمن) ..

وعن الجواهري لم يعلق عبدالملك نوري في كل لقاءاته معي بوصف عن شخصيته .. بل .. كان يكتفي بالقهقهة والقول :ـ (انه رئيس للأدباء وهو ممتع في الشرب ..) ولم يتحدث الجواهري مع عبدالملك نوري في موضوع القصة التي يكتبها طوال زمن اللقاءات التي تمت بينهما ، بل كثيراً ما كان الجواهري يقرأ شعره فقط ويحب أن يسمعه الآخرون ..

التقى عبدالملك نوري الشاعر بدر شاكر السياب مرات كثيرة وشرب معه ، ومن المفارقات التي عاشها مع بدر والروائي غائب طعمة فرمان انه دعي مع الاثنين لقضاء سهرة في حانة (بلقيس) في شارع أبي نؤاس . احتسى

معهما الخمر وثمل غائب وأخذ يقبّل كل مَنْ يصادفه .. ثم تحول الى شخص عدائي ويدأ يتحرش بالآخرين . وأخيراً سحب الشرشف من على المنضدة التي كان يجلسون عليها فسقطت الأقداح والصحون . وهنا أشار عبدالملك للسياب بالرحيل وفعلا استأجر الثلاثة سيارة أجرة .

حدث ذلك في نهاية الأربعينات ، وكان غائب عائداً لتوه من موسكو .

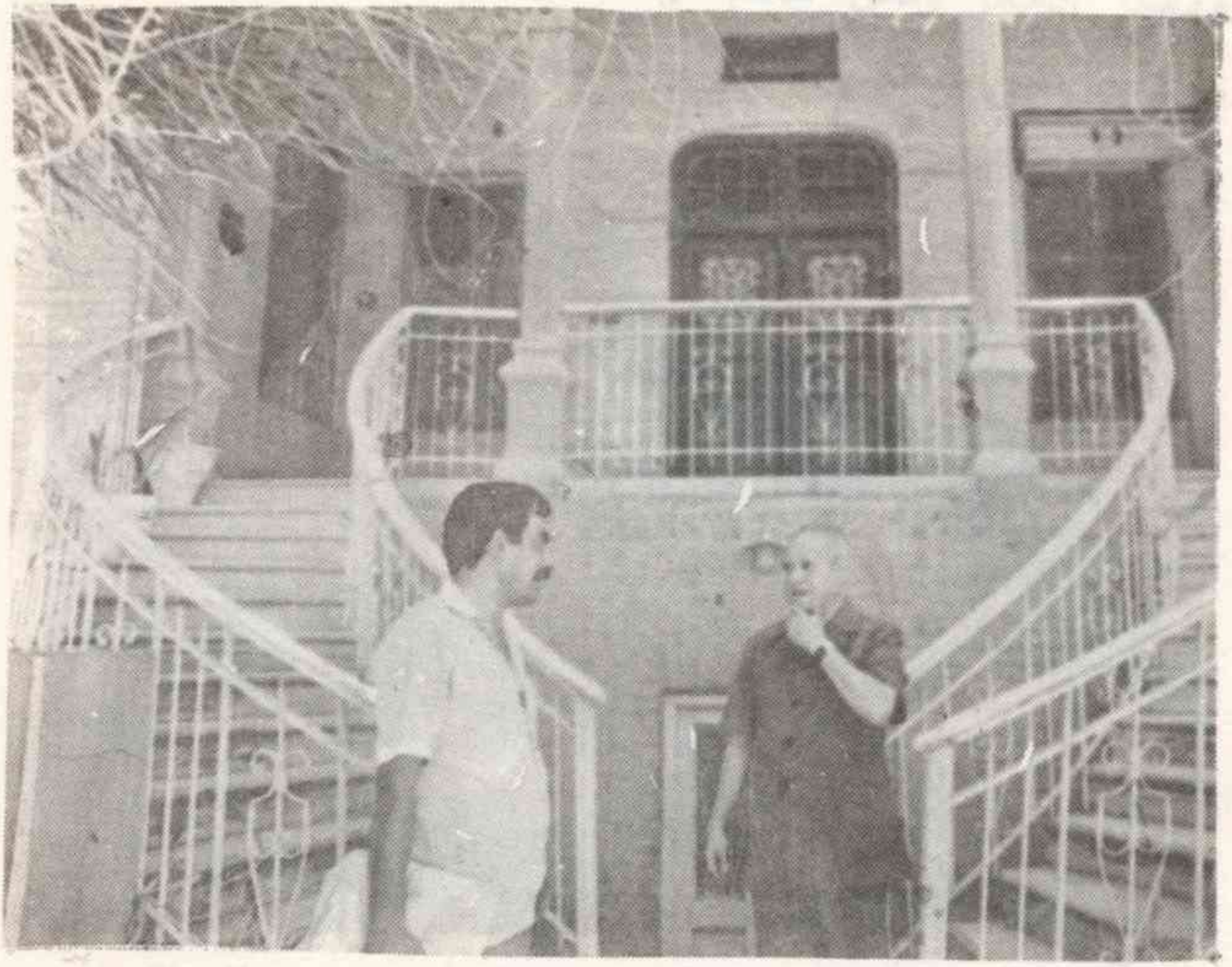
كان عبدالملك نوري يلتقي بدر شاكر السياب في المقهى السويسرية ، حيث تخرج السياب مع شقيقة عبدالملك من دار المعلمين العالية . ويصفه عبدالملك بأنه إنسان مرح يؤثر الشراب فيه بسرعة وانه كان طيب المعشر حتى وفاته ، ولم يكن نرجسياً كما يوصف من قبل الآخرين ، وهو يرى فيه شاعراً ومجدداً ويعده أفضل من البياتي .

التقى عبدالملك نوري بالشاعر كاظم جواد وهو يصفه بأنه الرجل الدائم الحديث عن نفسه ، وانه لم يستطع أن يصبح شاعراً كبيراً لأنه اهتم بالقضايا الخاصة عند الآخرين ، كان يشتمهم ولم ينتبه الى نفسه ليطورها .

تأثر عبدالملك نوري بتوفيق الحكيم وما زال يعجبه حتى يومنا هذا .. وقرأ لحنا مينا الذي ترك لديه انطباعاً جيداً ..



الكاتبة بذيمة أمين تتوسط هاتف الثلج والقاص عبدالملك نوري . في بيت الكاتبة سنة ١٩٩٠



القاص عبدالملك نوري وهاتف الثلج سنة ١٩٨٨

أما نزار قباني وعلي محمود طه فهما أقرب شاعرين عربيين له ، ويعلل ذلك القرب بقدرتهما على كتابة القضايا الإنسانية بصورة شعرية جميلة .

التقى ميخائيل نعيمة في بيروت وظل ثلاثة أشهر يسكن قريباً منه وكثيراً ما تزاور الأثنان وتبادلا نتاجهما الثقافي قبل أن يُنشر ، ويذكر عبدالملك ان مسرحية (خشب ومخمل) كان ميخائيل نعيمة قد قرأها قبل النشر ، لأنه كتبها في بيروت عام ١٩٦٦ . ولم يكن ميخائيل نعيمة متحمساً للمسرحية . لهذا ترى عبدالملك نوري يصفه بالإنسان المعجب بنفسه وانه يغار من جبران خليل جبران وانه أكثر المبدعين نرجسية وسبق له أن كتب عن جبران بشكل سلبي . ويعلل حسد نعيمة لجبران بكون الأخير أكثر شهرة وأوسع شعبية في أمريكا ..

ويرى في القاص نزار عباس قاصاً جيداً على الرغم من قلة القصص التي قرأها له . إلا انه لا يرى فيها ما يشكل شيئاً كبيراً في تاريخ القصة .

ويرى في مهدي عيسى الصقر كاتباً ممتازاً في القصة والرواية .

أما فؤاد التكرلي فيعده عبدالملك نوري من أعظم الكتّاب الموجودين ، وهو يحب كل قصة كتبها ، وأعجبه كثيراً

رائعته (الرجع البعيد) ، ويصفها بأنها أحدثت شرخاً كبيراً في الجدار السردي الذي عشش في أذهان القراء سنوات طويلة . ويرى انها لم تأخذ حقها من النقد بعد لأنها عمل كبير .

ولا يتذكر ما كتبه عنه الناقد الرائد عبدالقادر حسن أمين .

كانت عزلة عبدالملك نوري قد حجبت عنه الكثير من الأعمال الأدبية والأبداعية مثلما حجبت عنه أسماء المبدعين من روائيين وقصاصين وشعراء ونقاد .

في إحدى زياراتي الأسبوعية ، تحدثت له عن الروائي غابرييل غارسيا ماركيز وما أحدثته رواياته من تأثير في مسار الرواية العالمية ، كما أخبرته ان هذا الروائي الكبير قد حصل على جائزة نوبل في الرواية عام ١٩٨٨ .

بدت علامات التساؤل والتعجب على محياه .. مَنْ هو ماركيز .. وهل هو فعلا بهذا المستوى الذي وصفته ؟

أبديت رأيي ، وتحدثت له بشكل مختصر عن أهم رواياته « مائة عام من العزلة » و « خريف البطريرك » .

سألني، أن أجلب له بعض أعمال هذا الروائي الكبير . ولأن هدفي كان انتزاع أو سلخ عبدالملك نوري من عزلته واخراجه من تلك الصومعة التي قطعت نور المعرفة عنه .

طرقت في اليوم التالي بابه وأنا أحمل رواية ماركيز « خريف البطريرك » وكتاب « رائحة الغواقة » أحاديث مع ماركيز .

أعطيته ما أحمل وطلبت منه أن يقرأ ويبدي رأيه فيما يقرؤه . غادرته وتصورات ذهني تقول ان عبدالملك نوري سينفتح على آفاق جديدة .. هكذا تركت الأمر للجلسة الأسبوعية القادمة . ليحين موعدها وأجالسه كما اعتدت .. محاوراً ، ومناقشاً ، وأحياناً مجادلا ، ومختلفاً . في تلك العوالم الخاصة .. الخاصة جداً .

تحدثنا في أمور عدة كعادتنا . ولكن عبدالملك قطع الحديث وانتقل الى الأدب فجأة . وقال :

ـ قرأت الكتابين ، قرأتهما بتركيز ، شعرت ان ماركيز كاتب كبير . نعم ، هكذا شعرت .. انه ليس كاتباً كبيراً فحسب ، بل ثروة كبيرة ، وأنا نادم لانني لم أعرفه من قبل ، ولم أكتشف سحر فضاءاته . مدين لك يا هاتف بذلك ، فأنت مَنْ دلني على هذه العبقرية .

أجبته :

ـ أليست هي مشكلة العزلة التي تعيشها .

قال :

نعم ، وقد خرجت من عزلتي ، وفي الوقت نفسه

دخلتها .. خرجت لأني اكتشفت هذه الثروة ، واطلعت عليها ودخلتها مجدداً لأنني اكتشفت ان هناك قرابة روحية بيننا ، فأنا مثله متأثر بجويس وفرجينيا وولف وفوكنر . وقراءتي له تقول كذلك . لقد وجدت ان التشابه بيننا كبير رغم ان هذا العبقري تجاوز جويس وفرجينيا وولف وفوكنر .

قلت :

- هل تعني انك أصبحت مثله ، أم هو الذي أصبح مثلك .

قال :

- لا أدري ، ولكن يمكنني الآن أن أكتب بأسلوب قريب من اسلوبه ، لقد أدهشتني حرية التصرف عنده في الكتابة واللغة . انه يلغي الزمان والمكان ويلاقح الماضي والحاضر والمستقبل .. أراه مُحَطِمَاً كبيراً لأسس وقوالب القصة انه مدهش حقاً .

قلت :

- عرفت هذا من النص فقط ، أم ان سيرة حياته دلتك على هذا .

فأجاب :

- الاثنان معاً . فماركيز نظَّم حياته وقسَّمها بشكل رائع .. في هذه الساعة يكتب .. وفي هذه الساعة يقرأ

اختلف عني - قالها .. وكأن عبدالملك نوري يقارن بينه وبين سيرة ماركيز - .

وأضاف :

- أنا لم أنظِّم حياتي ، لأنني كنت دائماً أعد نفسي هاوياً لا محترفاً . ولو كنت قد فعلت مثلما فعل ، لكتبتُ أكثر مما كتب . عند هذه اللحظة شعرت ان عبدالملك نوري يراجع شريط حياته ، ويتأمل ، ويتمنى أن يعيد شباب كتابته من جديد .

● وبعد شهور قدمت له كتاباً لحمد حسنين هيكل وأعجب وطالبني بالمزيد من مؤلفات هذا الكاتب الكبير . ولذلك قدمت له مؤلفاته الواحد تلو الآخر .

وأعجب كذلك برواية (الشاهدة والزنجي) للقاص والروائي الكبير مهدي عيسى الصقر ، وبقصص القاص المبدع فرج ياسين . وقد شجعته وحثثته على إكمال مشروعه وهو تحويل رواية « الرجع البعيد » للقاص والروائي الكبير فؤاد التكرلي الى سيناريو . وهو ماضٍ في انجاز هذا المشروع .

آراؤه في الأدب والفن :

وهو يرى ان الأديب الملتزم لا بد أن يكون شاملا في التزامه سواء كتب أم لم يكتب لأنه يعد مسألة الالتزام قضية الأديب الفنية والفكرية ، وهي خياره الشخصي غير المفروض عليه ، وفي هذا الرأي إشارة الى انقطاعه عن الكتابة بسبب الظرف الخاص الذي يمر به والمتعلق بالمرض وحالات ذاتية خاصة . ويشعر ان عدم استطاعته اضافة شيء جديد لما كتبه في السابق واحد من الأسباب المهمة التي تحد بينه وبين الورق والحبر ، وهكذا يبحث عن اسلوب مقنع ملائم للعصر في الكتابة . ومنذ مدة ليست بالقصيرة ، ورغم هذه السنوات ، وما زال القاص الرائد يتهيب من الكتابة ويرى في استمراره بها حاجة الى قوة جسدية هو في أمس الحاجة إليها الآن . ففي الماضي كان الشراب يساعد مخيلته وينبش في عقله الباطن ، أما الآن فما عاد الشراب ممكناً وما عادت الصحة قادرة على احتواء معاناة الروح التي تتفجر إبداعياً .

ومن خصوصيات الكتابة عنده انه كان يفضل أقلام الحبر ، ثم بدأ شيئاً فشيئاً بالتعود على القلم الجاف ، ويرى انه سهل في الكتابة . ومرت عليه حقبة ليست بالقصيرة وهو

مولع بالأقلام الملونة ، حيث كانت هذه الألوان تثير شجونه وتحفزه على الكتابة وخاصة الكتابات المسرحية القصيرة ، حيث كتب جميع مسرحياته القصيرة بأقلام ملونة ، وهذا التنوع الذي يأخذ نسغه من جذور الطفولة جعل عبدالملك نوري يكتب مقاطع من مسرحياته بألوان متعددة والغريب ان حاسة اللون في الكتابة تشتغل عنده في المسرحيات فقط ، في حين تخمد في كتابة القصة . هذه الرغبة جعلته يحتفظ بعدد كبير من الأقلام الملونة . ومن الملاحظات الأخرى ان معظم المسرحيات التي كتبها كتبت في حانات بغداد لأنه كان يكتبها في اللحظة التي تشرق فيها ومضة مفاجأة في رأسه المثقل بهموم الأدب .

أما قصصه فقد كتب بعضها في نادي اتحاد الأدباء وبعضها الآخر في بيته .

ولا تقتصر آراء عبدالملك نوري على الأدب فقط ، فهو مهتم بأنواع الفنون والآداب . قرأ الأدب الإنكليزي في سوريا عندما كان مع والده في منفاه . أما بالنسبة للجوائز التي حصل عليها عن كتاباته الأدبية ، فقد حصل على الجائزة الأولى لمجلة الآداب اللبنانية عام ١٩٥٤

عن قصته (فطومة) وهذه الجائزة دفعته كثيراً للإنشداد الى عالم الادب . له آراء مهمة في كثير من أدب الادباء العرب وكذلك أدباء العالم ، فهو ينتقد نجيب محفوظ على طريقته السردية . قرأ لفوكنر ويجده صعباً وهو متأثر بجيمس جـويس ومعجب بميخائيـل نعيمة . ويـرى في دوستويفسكي بانه ذلك الروائي الذي يدخل الأعماق ليحللها وان طريقته في السرد تجعل القارىء يعيش شخصيات روايته (ويقلدها) . وقد أسرَّ لي انه كثيراً ما حاول أن يقلّد أبطاله وقد قرأ عبدالملك نوري أعمال شاكر خصباك أما عبدالرحمن الربيعي فلا ينظر إليه إلا مديراً للدعاية لاعماله الخاصة ، في حين يرى ان قصص نزار سليم خفيفة وممتعة .

تلك بعض آراء عبدالملك نوري في القصة والرواية ، أما بالنسبة للاجناس الادبية الأخرى . فقد مارس عبدالملك نوري كتابة قصيدة النثر وهو يحتفظ في مفكرته الخاصة التي مضى عليها عقود من الزمن بمختارات من الشعر العربي والاجنبي وهي عبارة عن دفتر أحمر كان قد فقدَه لمدة طويلة ثم عثر عليه . ويرى انه رائد قصيدة النثر ، حيث كتب هذا النوع من الأدب منذ حقبة الأربعينات ..

الشعر حالة وجدانية :

لا يمتلك عبدالملك نوري تعريفاً محدداً للشعر وهو يعده حالة خاصة من الحالات التي تنطلق من وجدان الأديب وتعبّر عن نفسها بهذا النوع أو ذاك من الأجناس الأدبية ، لهذا تراه لا يميز كثيراً من حيث الأهمية بين ما هو عربي أو مترجم من الشعر ،، لأنه يراه حالة إنسانية يتساوى فيها الأبيض والأسود من الناس والفقير والغني . وفي هذا الصدد حاول عبدالملك نوري مرات عديدة ترجمة الأدب من اللغة الإنكليزية الى العربية ، لكنه لم يتم مهمته بسبب نفاد صبره الذي يقول عنه انه غير موجود لديَّ . ولهذا يرى ان جبرا ابراهيم جبرا مترجم جيد . ورغم ذلك كانت بعض القصائد الأجنبية والمقاطع الشعرية قد أخذت مكانها في مفكرة عبدالملك التي كتب لها عنواناً يقول : قصائد مترجمة .

ويمتد اهتمام عبدالملك نوري الى النقد أيضاً . فقد كتب النقد وقدم انطباعاته عن الكثيرين من الأدباء العراقيين ، ويرى أيضاً ان المحلية في الكتابة ـ أي تضمين الأدب اللهجة العامية ـ لها فوائدها التي تقرّب الكاتب من الناس . ويضرب مثل الكاتب المصري عبدالحكيم قاسم والكتّاب والأدباء في أمريكا اللاتينية الذين لا يكتبون الأدب

باللغة الاسبانية الفصحى ، بل بعاميتها . ويرجع عبدالملك نوري اهتمام بعض الأدباء العراقيين والنقاد بعبدالحكيم قاسم الى فهمهم للهجة المصرية في حين لم يفهم الكثيرون من الأدباء العرب اللهجة العراقية التي ضمنها بعض الأدباء العراقيين في نتاجاتهم . ولا يرجع عبدالملك نوري استخدامه للهجة العراقية في بعض قصصه الى الجانب الفني البحت ، بل يحملها إطاراً سياسياً ضمن الظرف الذي كان يعيشه العراق في حقبة الأربعينات والخمسينات . ويرى ان لكل حقبة زمنية ظروفها وان قضية تعبئة الشارع العراقي بلغته واحدة من الأمور المهمة التي ينبغي النظر إليها بجدية من قبل المبدعين والمنظِّرين والمفكرين بوصفهم غير منعزلين عن العالم المحيط وهذا الأمر يجعلهم ملزمين بالتبسط في آرائهم لتبدو مقبولة ومفهومة من قبل الناس لزيادة الحماس الثوري في الشارع .

إذن ، فان عبدالملك نوري يربط بين ما هو فني وسياسي في آرائه النقدية ، وهذا الموقف دفعه لأن يكتب في أجواء بغدادية خالصة لأنه يعشق بغداد وأجواءها وأزقتها التي كانت قبل عقود من السنين مدينته وتاريخه . أما الآن فانه يراها قد تلوثت بالحضارة وأصبحت طبيعتها وأبنيتها غير تلك التي كانت في الأربعينات والخمسينات

فهي الآن تشعره بالضيق والزحمة ويتمنى أن تكون بغداد الحديثة في مكان آخر، غير بغداد الحالية ويحمّل هذا الموقف اهتماماً خاصاً بالأدب، فبيت بلزاك وكتبه ظلت في المكان نفسه ولم تغيرها باريس الحديثة وكذلك مكان راسين. أما الرصافي وغيره فلم تعرف بغداد منهم غير تمثال واحد فقط. إذن فان مسألة المكان ترتبط بذاكرة عبدالملك نوري بالتاريخ والأدب. والمخيلة والإبداع، فكثيراً ما يحن الى محلة صغيرة في معالم بغدادية أصيلة ليشرب ويتسامر كما يفعل ذلك في الماضي.

المقهى عنده عالم خاص، البيت البغدادي عالم خاص وكل ما يحيط به عوالم محفزة للإبداع ولكن ضمن خصوصيتها البغدادية. فالمدينة التي كانت عالمه الخصب نافذة مشرعة على عالمه الخارجي منها اطلع على الأدب العالمي وفيها تعرّف على أصدقائه من الأدباء والنقاد وفيها أيضاً عرف نهاد التكرلي وشقيقه فؤاد التكرلي وعرف ان أصدقاءه كانوا يتابعونه ويتابعون كتاباته ونزيف إبداعه وفيها أيضاً تعرّف على آخر الاصدارات والأخبار الأدبية عن طريق صديقه فؤاد التكرلي وفيها أيضاً اعتزل في بيته وكوّن عالمه الذي أصبحت أنا نافذته الوحيدة كما يقول هو.

وفي عالم الأدب يقرأ عبدالملك نوري كل ما يقع

بين يديه ويعطي رأياً فيما قرأه ، وهو في ذلك المنهج يؤكد ما تقتضيه القراءة الصحيحة للأدب ورسالته ، لكن للسنين أحكامها التي جعلته ينسى ما كتبه من آراء نقدية في هذا الموضوع أو ذاك ، فهو لا يتذكر ما كتبه د. علي جواد الطاهر من إشارات نقدية في مجلة الأقلام عن آراء عبدالملك نوري بنزار سليم ، مثلما لا يتذكر آراء أخرى كتبها في مناسبات متعددة عن هذا الكاتب العراقي أو ذاك .

لكن هذا النسيان لم يطفىء جذوة الكتابة عنده ، فالقصة ما تزال ومضة يمكن أن تكتب بلحظة ويمكن أن تستمر لشهور عدة ، فليس هناك وقت محدد للكتابة . ويرى في كتابة القصة متعة تفوق المتعة الجنسية وان ما كتبه من قصة في حقبة الخمسينات ما تزال حديثةً حتى يومنا هذا .

كل هذه الآراء لم تجعل عبدالملك نوري ينسى أصدقاءه الذين شقوا معه طريق الإبداع وأفادوه بملاحظاتهم وآرائهم ، إذ كثيراً ما كان يستفيد من ملاحظات نهاد التكرلي حول ما يكتب ، وكثيراً ما اهتم بآرائه النقدية لتقويم كتاباته ، وكثيراً ما كان يستفيد من ملاحظات نقاد آخرين وهذه خصلة لصالح المبدعين الحقيقيين ، ولكنه في كل هذا

وذاك كان يمتلك حرية القبول والرفض ، فمثلا كان عبدالملك نوري يرفض كل رأي نقدي يتدخل في خصوصياته ومسائله الشخصية ولهذا رفض ما كتبه د. عبدالإله أحمد من آراء لا تناقش أعماله بل تناقش شخصيته ، كما يقول .

والجديد في عالم عبدالملك نوري انه ربما يكون رائداً للرواية العراقية الحديثة . فقد كتب عملا روائياً ضخماً في الأربعينات لكن ظروفه الشخصية والسياسية لم تسمح له باكماله أو بنشره . وقد قرأت فصلين من هذه الرواية بعد ان اكتشفتها مصادفة في أوراقه القديمة التي سمح لي بالاطلاع عليها ، ورأيت فيها لغة عذبة وقوة في التعبير والرأي ، وأخذتها الى مجلة الأقلام مع ملف خاص كانت المجلة قد خصصته لعبدالملك نوري حيث قمت باعداده كاملا ووضعت لها عنواناً لم يضعه عبدالملك نوري لها منذ عقود من الزمان . كان العنوان الذي وضعته (أحلام امرأة صغيرة) وعرفت فيما بعد ان هذه الرواية التي كانت قد جاءت للوجود كتبت وعبدالملك نوري منهمك في قراءة روايات جون شتاينبك .

وهو يحب همنغواي كثيراً ويتمنى أن يحيا مثل حياته ، وهو يحب الحياة مثله أيضاً .

الخمسينات :

كانت العلاقة مغلقة بينهم فقط : عبدالملك نوري ونهاد وفؤاد التكرلي . لم يتصلوا بالكتّاب العرب ولم يتراسلوا مع واحد منهم . كانوا يتزاورون فيما بينهم ويتناقشون. وكانوا يقرأون الأدب العالمي وبكثرة ، ويتناقشون حوله . لكنهم كانوا يقرأون بالدرجة الأولى أعمال دستويفسكي . لكنهم لم يتركوا الآخرين من المشاهير .. ساروريان ، كامو ، سارتر ، دي بوفوار ، غوركي ، تولستوي ، تشيخوف ، وآخرين غيرهم .

وكانوا يقرأون مجلة « الأديب » بالدرجة الأولى . ثم بعدها بسنوات صدرت مجلة « الآداب » فكانوا يقرأونها بانتظام . أما الصحف فكانت جميعها متشابهة ، فلذلك لم يفضلوا واحدة على أخرى .

لقد بدأت صلة عبدالملك نوري بمجلة « الأديب » اللبنانية . حيث نشرت خبراً عن تقديم جائزة لمَنْ يفوز بمسابقة القصة ، كان النداء موجهاً الى الكتّاب العرب جميعاً ، ومما شجعه على الاشتراك في هذه المسابقة ، ان القصص كانت بأسماء مستعارة والأسماء الحقيقية في ظرف آخر .

وقد اختار الاسم المستعار « أبو ليل » لأنه كان منذ بدايته يحب الليل . وقد فازت قصته « فطومة » . ومنذ ذلك الوقت أخذ يرسل قصصه لمجلة الأديب وأصبح هناك تعارف بينه وبين « البير أديب » حين سافر الى بيروت في الستينات .

وقد لعبت هذه المجلة دوراً كبيراً بالنسبة للبلدان العربية والكتّاب العرب الجدد فقد كانت هذه المجلة تحتضن المواهب الجديدة دون تحفظات أو لهاث وراء الأسماء المشهورة آنذاك .

ومن تلك الأسماء يوسف الشاروني وتوفيق يوسف عواد . الذي كان عبدالملك معجباً بقصصه في تلك الفترة ولكن الآن لا يتذكر له شيئاً .

وهو يعترف بأن ذا النون أيوب وعبدالمجيد لطفي قد أثروا بهم ، لأنهم الجيل الأسبق وكان يعدهما كاتبين طليعيين . وبالنسبة للأجيال السابقة . لكنه وأبناء جيله قد افترقوا عنهما من حيث الأسلوب « الفن » فقد كانوا جيلا جديداً في الكتابة ، فلم يكن همهم الأساسي تكثيف أو عرض مضامين اجتماعية ، وإنما تقديم كل ذلك بشكل فني متقدم .

أما عبدالوهاب البياتي فكان يقرأ شعره فقط . لم يقرأ لهم ولم يقدم أية ملاحظة .

وكان أقرب الرسامين إليه جواد سليم وفائق حسن ونزار سليم وهم أصدقاؤه . ومن الموسيقيين فريدالله ويردي وسلمان شكر . وكان عبدالملك يعزف على البيانو والأكورديون وكان يغني أغاني محمد عبدالوهاب . وهو قارىء جيد للتراث وخصوصاً الجاحظ لأنه قريب من نفسه أكثر من غيره .

حاول عبدالملك نوري أكثر من مرة وفي مراحل مختلفة من حياته أن يكتب سيرته الذاتية وتجربته الإبداعية .. فكثير من الأشياء والصور تمر في ذهنه ، التقط بعضها ودونها . لكنه سرعان ما مزقها لأنها سرد غير فني . ولو لم يكن عنده هذا الهاجس الفني المتوهج منذ البداية لكتب مجلدات من السرد الحياتي .. في رأسه أشياء كثيرة لكنه لا يستطيع كتابتها . وهو يعرف ان هذه الكتابة مهمة . حتى انه قال ذات مرة لـ « فؤاد التكرلي » « أنظر دوستويفسكي عملاق كبير ، لكنه بلا تكنيك ، سرد ، مجرد سرد » لكنه اليوم يعده من أعظم الكتّاب في العالم ، فهو لم يفعل مثله لأنه اهتم بالشكل كثيراً فأصبح عائقه أمامه . وكان يعول على أحاديثي الطويلة والمستمرة معه في كتابة

تلك السيرة . وكانت تلك الإشارة بداية للتفكير في كتابة سيرة قاصنا الرائد . ولأنه انفتح معي في تفاصيل كثيرة سواء الخاص منها أو العام ، ولما وجدته من أشياء جديدة ومهمة غير معلنة عنه .

وهو يعترض على فؤاد التكرلي الذي يتهم الكتّاب العرب بأنهم بلزاكيون . ففي رأيه ان بعض القصص خرجت عن ذلك الرداء كقصص يوسف الشاروني ويوسف ادريس . بلزاك كتب مائة كتاب أعتقد ان ما يقرأ منها أربعة أو خمسة كتب . قتل عمره في الكتابة الليل والنهار يكتب .

ويعد غائب طعمة فرمان روائياً ممتازاً ، لكنه في القصة القصيرة يميل الى السرد . فهو روائي جيد جداً وخاصة في الغربة وتركيزه على الأشياء المحلية ، وعرضها بشكل شيق وممتع فنياً .

وله رأي بمحمد خضير فلديه ماخذ على قصته (الشفيع) فالقاص يدخل ذهن البطل ، هل هناك امرأة حامل تنزل السلم ، تصعد ، تنزل ، تنزل تصعد ، السبايات تمر من أمامها في كل لحظة ، وهي كل دقيقة تصعد وتنزل .. ان الأشياء التي تمر في ذهنها ، هي أشياء وأفكار محمد خضير و لاتلائم شخصية هذه المرأة الأمية ، هذا هو المأخذ

الرئيس على القصة ، بمعنى آخر هناك رؤى عجيبة وغريبة . لكن هذه الرؤى لا يمكن أن تمر في ذهن هكذا امرأة ، هذا خلل في بناء الشخصية القصصية .

وتعجبه قصص موسى كريدي .

ويعلق على كتاب الدكتور علي جواد الطاهر « في الريادة الفنية في العراق » الذي وجد فيه بشكل عام متعة في قراءته حيث تطرق الى بعض الأمور الفنية في كتاباته ، والتي يعتز بها . لكنه طرح في معرض حديثه عن نشأته الارستقراطية وبامكانية تأثيرها على الموضوع الأدبي الذي يتناوله القاص . في حين انه ينسى انه عمل في السياسة التي تنتمي الى الحس الشعبي كما كانت تروج آنذاك ، حيث كان أحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب الشعب المعروف بانتمائه الى الجماهير ، وبقي من الناحية العملية منفصلا عن أجواء الارستقراطية ، حيث تعامل مع الموقف السياسي آنذاك بطريقة معاداة النظام الملكي .

ومفهومه عن أدب الحرب . هو أدب قوي عندما يكون الكاتب فناناً مثل همنغواي ، أما غير ذلك فانه ليس بأدب . فنحن لا نستطيع أن نقول هذا النتاج هو نتاج محلي ، فالقضية الأدبية لم تعد محصورة بمحليتها ، وإنما أصبحت قضية عالمية لما تشكل وسائل الاتصال من انفتاح على آخر

التيارات في الأدب العالمي . ومن الممكن أن يكون ما هو محلي عالمياً ، وإذا ما كتب بمستوى أدبي جيد ، فهو لا يقبل بالتبجح بحجة المحلية ، وإنما يكتب بمستوى ما يكتب في العالم إذا لم يكن متفوقاً على ذلك الأدب ، ومن هنا تكن الأصالة القومية في العمل الأدبي .

هذا عن الجانب الفني ، أما عن التجربة .. فالتجربة ضرورية للإنسان المبدع ، فلا يمكنه أن يتمثل حياة وهو جالس في بيته أو يريد أن يكتب أدباً جيداً عن الحرب ، لا بد أن تكون هناك تجربة حتى وإن كانت صغيرة فهي تبقى شعلة ومصدر تغمر ذلك الإبداع .

مسرحي غير معترف به :

لأن عبدالملك نوري رجل متنوع الاهتمامات فقد شغل ، من ضمن ما شغل بالمسرح ، فهو عندما كان في باريس ، أواخر خمسينات هذا القرن وبداية الستينات ، تابع الفن المسرحي هناك وتأثر بأسماء مهمة في باريس ، قرأ جان جينيه قراءة معمقة وتأثر ببيكيت ويونسكو ، وهناك اطلع على الكثير من التجارب المسرحية وما نفذ منها على خشبة المسرح ، وكان يعرف منذ البدء ان المسرح العراقي يتقبّل الكثير من الاتجاهات والتيارات المسرحية الحديثة ،

ومع هذا يصف مسرح اللامعقول بأنه اسلوب قريب للمسرح العراقي ، ولكن ضمن قالب معقول ومضمون معقول أيضاً .

كيف يمكن أن يكون ذلك ؟

هذا ما لا يوضحه لنا القاص الرائد مما يجعلنا نعتقد بأنه لم يلتزم بمنهج محدد أو نظرية مسرحية خاصة ، ففي انتقاله من اللامعقول الى المعقول بون شـاسع ، ومع ذلك يسوّغ عبدالملك نوري هذا الأمر بالحاجة الى الحرية الواسعة في الكتابة .

ولأنه لم يكرس نفسه لتقنية المسرح ، لم يهتم النقاد بمسرحياته كثيراً ، وربما تكون غلبة الطابع القصصي عليه هي السبب في ابتعاد النقاد عن تناول مسرحياته ، لذلك يستغرب من هذا التصرف النقدي ويصر على انه كاتب مسرحي فضلا عن كونه قاصاً .

وإذا ما تابعنا اهتمام عبدالملك نوري المسرحي نجد انه بدأ مع أول قصصه (رسل الإنسانية) بطابع حواري ينم عن رؤية فيها من الطابع المسرحي الشيء الكثير ، وتبلورت هذه الاضاءة الأولى في أولى مسرحياته وأطولها (خشب ومخمل) التي كتبها في بيروت نهاية الستينات ونُشرت في بغداد في السبعينات . وكانت هذه المسرحية ذات طابع سياسي طاغ وتمثل انموذجاً لصراع الرغبات

على السلطة حيث ضمنها حكمة تقول « أفضل أن أكون أحمقاً على أن أكون ملكاً في القرن العشرين » . وتمثل هذه الحكمة قمة الهروب من الواقع الى الخيال .. الهروب من صراع الماديات داخل الإنسان الى عالم أوسع حرية وأكثر إنسانية ، وفي هذا المنحى يقترب عبدالملك نوري من العبثية واللاجدوى في تفكيره وآرائه .

وبعد مسرحية (خشب ومخمل) كتب عبدالملك نوري مسرحية « القاذورات » التي نشرت في مجلة (الكلمة) وتناول فيها موضوعاً من يوميات بيروت التي غرقت بالأزبال في تلك الايام نتيجة اضراب عمال التنظيف ، فأوحت له هذه الصورة بموضوع مسرحية تتناول هذه المسألة من وجهة نظر سياسية . عرضت هذه المسرحية في تلفاز بغداد ونالت اعجاب الجمهور في ذلك الوقت . وبعد هذه المسرحية كتب عبدالملك نوري مجموعة مسرحيات نشر قسماً منها في الصحف والمجلات العراقية .

ويمكن أن نعرف ان لعبدالملك نوري آراء في المسرح العراقي ، فهو يرى ان المسرح قد تراجع كثيراً وأصبح إسفافاً ، منطلقاً في رأيه هذا من التيار الذي يقول ان الفن التزام وقضية . ويرى ان بعض المسرحيين في العراق أسهم في تراجع المسرح وقضيته ، ويبدو ان آراءه هذه جاءت

بعد سلسلة مشاهدات لعدد من المسرحيات التي عرضت في الستينات والسبعينات ، إذ يرى ان برتولد بريخت ، الذي تأثر به عبدالملك نوري ، ظُلِمَ كثيراً في المسرحيات التي عُـرضت له في بغـداد ، ويـؤكـد ان مسـرحيينـا لم يستطيعوا أن يعبروا عن فهم لطبيعة فنه ، ويبرر هذا الموقف بتأكيده انهم حولوا الملحمية في المسرحية الى مواعظ مجردة . وأحسب ان في هذا الرأي بعض التجني على الحقيقة ، فالمسرحيات لم تقدم بهذا الشكل المحدد .. بل .. استطاع بعض فنانينا نقل روح بريخت الى المسرح العراقي وتعريف قضاياه الملحمية بشكل يتلاءم مع ذوق وفهم المشاهدالعراقي . ولكن مع هذا ، يمكن القول ان انحياز عبدالملك نوري لبريخت ربما يعود الى كونه خلاصة لتطوره الفني وإدراكه الخاص لطبيعة مرحلته .

وقد أعلن عبدالملك نوري موقفه هذا من مسرح بريخت في لقاء خاص لي معه ، وبريخت هو الذي دفع عبدالملك الى فهم المسـرح فهماً خـاصاً . وهـذا الفهم يشير الى ان المسرحية عبارة عن قصة أو رواية تمثل على خشبة المسرح وهي ذات بداية وعقدة ونهاية . لكنها تتميز عن بقية الفنون الأدبية باعتمادها على الحوار وما يصاحبه من فعل يتضمن صراعاً مركزاً .

في صيف عام ١٩٨٩ قمت وعبدالملك نوري يرافقنا الروائي والقاص منير عبدالأمير بزيارة المسرحي العراقي الكبير ابراهيم جلال في منزله في الصليخ . وكان قد مضى أكثر من عشرين عاماً على آخر لقاء تم بينهما . وأكد عبدالملك نوري في هذا اللقاء قيمته كاتباً مسرحياً ، وتحدث عن سبب إحجام بعض المخرجين عن تقديم مسرحياته على خشبة المسرح .. بل .. انه أعلن ان معظم قصصه ممكن تحويلها الى مسرحيات .

وتحدث في ذلك اللقاء عن ظروف كتابة مسرحية (خشب ومخمل) في بيروت على الآلة الكاتبة التي جلبها له الشاعر بلند الحيدري ، وان أولى نسخها المضروبة على الآلة الكاتبة أرسلها الى صديق عمره الروائي والقاص الرائد فؤاد التكرلي الذي كتب له رداً يبدي فيه اعجابه بها . وكرر استغرابه من إهمال المخرجين لمسرحياته خصوصاً الفنان الكبير ابراهيم جلال . الذي وعده بأنه سيقوم باخراج مسرحياته جميعها .

وسأل عبدالملك ابراهيم جلال عن رأيه بمسرحية (دزدمونة) ليوسف الصائغ التي قام باخراجها .. التي يعتقد انها سطو واضح على شكسبير . فتدخلت

في الحديث وأخبرتهم بما أسرني به الصديق العزيز فؤاد التكرلي من ان يوسف الصائغ قد أخذ الكثير من مسرحيته (أوديب .. الملك السعيد) ، وها هي (دزدمونة) تعبّر مرة أخرى عن هذا المنحى التناصّي .. فأكد عبدالملك ذلك الرأي .

هو وقصيدة النثر :

كان عبدالملك نوري ، كما ألمحنا الى ذلك من قبل ، أديباً متعدد الاهتمامات ، وهو على الرغم من قلة نتاجاته ، امتاز بالتنوع ، فكما كتب القصة القصيرة والطويلة والمسرحية والمقالة كتب ، أيضاً ، قصيدة النثر ، ولكن لم يكن لديه ، خلال أربعينات هذا القرن ، مفهوم محدد واضح لهذا النوع الأدبي ، فلم يلجأ عبدالملك نوري الى كتابة قصيدة النثر في ضوء ما كتبه أمين الريحاني ، لأنه لم يطّلع على شعره المنثور .. بل .. كتب قصائده النثرية بوصفها شيئاً خاصاً به .. شيئاً لا علاقة له بمحاولة تجديدية بقدر علاقته بأنه يعبّر عن عاطفة خاصة به .

وهو حتى هذا اليوم ، لم يطلع على محاولات التجديد التي تبنتها مجلة (شعر) ومجلة (مواقف) اللبنانيتات ،

التي كانت قصيدة النثر مشروعهما التجديدي الأساس تأثراً بقصيدة النثر الفرنسية .. بل .. كان اهتمامه بهذه القضية نابعاً من كونها تخدم ، على نحو مباشر ، القضية السياسية التي يدافع عنها ، وليس ذلك الأمر مستغرباً على عبدالملك نـوري ومجايليـه ، فالقضيـة السياسيـة كانت أكبـر من أي اهتمام آنذاك .

كان يكتب الشعر المنثور بين آونة وأخرى ، وفي مواقف معينة ، وكانت تلك الكتابات تتخلل مراحل كتابته القصص .

الشعر غير واقعي ، هو كسر الواقع وخروج من إطاره وكسر المنطق ومحاولة الخروج على اللامعقول اليومي ، وهذه المفاهيم في الشعر هي عكس مفاهيم الواقعية النقدية التي كتب بها عبدالملك نوري قصصه ، فكيف يمكن تفسير هذه المفارقة ، أعني كتابة الشعر وكتابة القصة الواقعية النقدية ؟

يترك عبدالملك نوري الاجابة على هذه المفارقة للنقاد ، كما يؤكد ذلك ، فهو حين يكتب الشعر يعلم انه يمارس عملا تلقائياً أما حين يكتب القصة . فالمسألة مختلفة تماماً ، فهو يخطط لكتابة القصة .

والفلسفة ؟

حين كان عبدالملك نوري في بيروت طالباً في الجامعة الأميركية ، كان مهتماً بالفلسفة ، وبقي في مملكتها مدة قصيرة ، ولكنه خرج من تلك المملكة وبقيت تربطه بها جذور ، وإن كانت واهنة ، كان قد اطلع اطلاعاً عاماً على نتف فلسفية من هنا وهناك ، كما تأثر بالفلسفة الماركسية .

وهو أول مَنْ كتب عن المادية الديالكتيكية في مجلة (المجلة) ، كان ذلك عام ١٩٤١ وكان معتقلا في الفاو بتهمة النازية ، إذ كان ، كما أسلفنا ، شارك في حركة مايس المناهضة للاستعمار الإنكليزي ، وحين أرسل المقال الى تلك المجلة رآه بعد أيام منشوراً فيها ، وقد أفرحه ذلك كثيراً ، إذ ان القليلين كانوا قد سمعوا ، في العراق ، عن هذه الفلسفة ، آنذاك .

عبدالملك نوري
وتطوير فن القصة :

يمكن أن نحدد نشأة القصة العراقية من الناحية التاريخية بالقاص الرائد عطا أمين الذي كتب قصص الرؤيا ، ويبدو انه كان متأثراً بحديث عيسى بن هشام

للمويلحي ، وقد استخدم الحلم أو الرؤيا إطاراً عاماً لقصته ، وقد نحا هذا المنحى محمود أحمد السيد باستخدام الرؤيا إطاراً لقصصه هو أيضاً ، ويعد السيد خطوة متقدمة في كتابة القصة حيث كانت أعماله تتضمن رؤىً اجتماعية وقصصاً ذات طابع واقعي طرح فيها قضايا المجتمع ومشكلاته على نحو فني متطور.

فالفن القصصي بدى في العراق بداية متواضعة ، إذ ليس له جذور راسخة في التراث العربي ، وترجع أولى القصص المطبوعة في كتاب كما يقول الدكتور علي جواد الطاهر : « الى عام ١٩٢١ عندما صدرت قصة في سبيل الزواج لمحمود أحمد السيد الذي أعتبر رائداً للقصة العراقية الحديثة .. وكانت تغلب على قصصه الناحية الاجتماعية الاصلاحية .. ثم توالى القصاصون ولكن أغلب ما كتبوه كان مليئاً بالوهن الفني وكان أقرب الى المقالة منه الى العمل الفني » .

ويعد حسين الرحال واحداً من مجايلي السيد ، وقد أصدر جريدة (الصحيفة) التي كان جلّ مقالاتها عن النهوض والتحرر والتقدم وحرية المرأة والعلم متأثراً بما كان يصدر من صحف ومجلات في مصر .

وبرز في الثلاثينات نخبة من القصاصين العراقيين أسهموا في تطوير القصة العراقية إبان تلك الحقبة أمثال : يوسف متي ويوسف مكمل وعبدالحق فاضل وأنور شاؤول وذوالنون أيوب وعبدالمجيد لطفي ، وقد حققت القصة بعض اشتراطاتها الفنية على يد هذه النخبة مما جعل جيل الاربعينات يستند الى أسس فنية واعية في انتاجه القصصي ، وأبرز كتّاب القصة في هذه الحقبة اللاحقة عبدالملك نوري وعبدالوهاب الامين وشالون درويش وآخرون .

وقد تميز من هؤلاء عبدالملك نوري الذي برز قاصاً له منحىً قصصي وأصول فنية واضحة ضمن مجموعة من الكتّاب الذين ظهروا في الخمسينات أمثال فؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر وغانم الدباغ وأدمون صبري ومحمد روزنامچي وعبدالصمد خانقاه وجيان وعبدالله نيازي ونزار سليم وسافرة جميل حافظ وآخرون .

وتتجلى أهمية عبدالملك نوري من خلال اطلاعه على الآداب الغربية وقراءته لها قراءة فنية واعية ألمّ فيها بالتقنيات القصصية وقواعد السرد ، الامر الذي جعله يستخدم تلك التقنيات في قصصه لتشكل تلك القصص نبراساً أضاء الدرب لابناء جيله والاجيال اللاحقة وأصبح

بحق رائداً للقصة الفنية الحديثة في العراق . بخاصة في مجموعته (نشيد الارض) .

ولا بد من تأكيد حقيقة تاريخية مهمة وهي ان عبدالملك نوري يعد أول مَنْ أدخل اسلوب تيار الوعي في القصة العراقية والعربية وقد ميَّز هذا الاسلوب في ما بعد ، القصة الستينية في العراق . واستخدمه نجيب محفوظ لأول مرة في السبعينات في روايته الشهيرة (اللص والكلاب) .

استطاع القاص العراقي ، إذن ، أن يحقق في خمسينات هذا القرن نقلة نوعية في مسيرة القصة العراقية وان ينفذ مشروعه الفني بصورة رائدة حددت ملامح التطور الفني القادم ، وإذا ما ذكر ذلك المشروع لا بد من ان يذكر القاص الرائد عبدالملك نوري مع زميله وصديقه ورفيق دربه الروائي والقاص الكبير فؤاد التكرلي ، بوصفهما رائدي التجديد في القصة العراقية .

وقد شكل عبدالملك نوري أهمية في فترة كانت تعج بمحاولات التجديد بعد ان سهّلت التكنولوجيا وسائل الاتصال بين أجزاء العالم المتناثرة ، وإذا ما كان فن القصة القصيرة جديداً على لغة الخطاب العربية فأن عبدالملك

نوري حاول أن يستبق الزمن لتعميق الوشائج بين القارىء والنص ، على أساس معالجة مكثفة تخدم وجهات نظر الإنسان الذي يمثله المؤلف كذات تسلّحت بالوعي والثقافة العريضة ، ولهذا كان بحق رائداً من رواد الفن القصصي وإنساناً يطلق أجنحة الحرية صفة للروح التي تبحث عن الخلود .

بناء القصة القصيرة التي كتبها عبدالملك نوري ومجايلوه . هذا البناء القائم على الجمل المهشمة والتكرار في المقطع وفي الكلمة والتداعي في الأفكار والمعاني ، وكلها أساليب شعرية في الحقيقة ، هل يمكن أن يكون عبدالملك نوري قد أفاد من هذه الاساليب في بناء النسيج اللغوي لقصصه ؟..

لم يكن يهمه في البداية هذا الجانب ـ النسيج اللغوي ـ الذي كان يهمه الإنسان ، هذا الكائن الذي هو موضع تأثيرات كبيرة وعظيمة . يؤثر ويتأثر لأنه غير معزول عن أخيه الإنسان ولا هو بمعزول عن الكون أيضاً ، فهو يتأثر بالأفكار والطبيعة المادية التي تحمل عناصر جمالية رائعة .. النجوم ، القمر ، المطر وغيرها .

والقصة لدى عبدالملك نوري تمثل انجازاً متفرداً بين أعمال القصة الخمسينية .. هذا التفرد نتيجة التطور

الفني الذي أسهمت فيه الخبرة المتراكمة للقراءات السابقة ، حيث اطلع على الأدب العربي والعالمي ، وحاول إيجاد شكل متفرد يلائم الحقبة التي كان يعيشها ، والتي أملت متطلبات شكل فني جديد بسبب المتغيرات التي طرأت على العالم في جميع النواحي آنذاك .

● الانفلات من الشكل الخمسيني ، أيعني البُعد عن الهم الخمسيني في الفن من خلال رؤى فكرية وفلسفية جديدة ، أم انه ابداع شكل جديد للتعبير عن ذاك المضمون ؟

في رأي عبدالملك نوري ان لكل عمل أدبي إطاراً خاصاً به نسميه الشكل ، خاصة إذا كان الموضوع يتناول الحياة بانعكاساتها الإنسانية . لهذا فان الشكل الخاص يلتزم معنى المضمون الخاص . إذ لكل قصة ظروفها وإشكالياتها وطريقة انتاجها ، ويتجلى هذا التنوع في مجموعاته القصصية الثلاث : الأولى (رُسل الإنسانية) والثانية (نشيد الأرض) والثالثة (ذيول الخريف) .. إذ ثمة اختلاف في مجال الشكل بل والمضمون أيضاً ، ولذلك تتميز كل مجموعة عن المجموعتين الأخريين .

ومن مفاهيمه ان لكل قصة مضمونها وشكلها الخاص الذي تمليه ظروف كتابتها ، والاختلاف وارد حتى في الرواية والشعر ، نظراً لاختلاف التجربة من عمل الى عمل آخر .

بسبب تراكم الخبرات وزيادة التراكم المعرفي . لهذا فانه من الطبيعي أن يكون العمل الإبداعي مختلفاً من مرحلة الى أخرى .

وبعد مجموعته القصصية الأولى (رُسل الإنسانية) انفتح على التيارات الحديثة في كتابة النص الأبداعي . كان ذلك الانفتاح من باب ، رفض النتاج المعروض على الساحة الثقافية ، وحباً بالمخالفة الإبداعية ، وخروجاً إبداعياً مؤسساً على قناعات ثقافية متمركزة في الوعي الإبداعي .

كانت المسافة الزمنية بين « رُسل الإنسانية » و « نشيد الأرض » ثمان سنوات ، في هذه السنوات الثمان ، أقبل على قراءة الأدب الأجنبي ، وكان الهاجس وراء هذا الاطلاع ، هو رغبة قوية في معرفة الموقع الأدبي « كانجاز » في الأدب العالمي ، أين وصل ؟ وما هي أبرز التطورات ؟ ما الذي يفعله الأدباء لكي يتجاوزوا واقع ما هم عليه ؟ أين موقعهم كمبدعين في خارطة الإبداع العالمي . إنها طموحات شباب ، لكنها طموحات مشروعة ، تكشف عن قدرة في تجاوز ما هو موجود .

وبعد هذا الاطلاع وجد الأديب العراقي أجوبة لأسئلته تلك . وقد شعر انه تضاءل عندما اطلع على انجازات العمالقة في الميدان الأدبي . آين هو من أمثال

دوستويفسكي ، جويس وآخرين غيرهما ، لكن هذا الاطلاع لم يثبط همته في خلق المشروع الخاص ، وتطوير هذا المشروع حسب امكاناته الذاتية .

وهو يعترف ان هذا الاطلاع أسهم كثيراً في خلق قصة فنية حديثة ضمن مشروعه الفني الخاص . فقد استفاد من هذه القراءات ، استفادة كبيرة ، لأنه أدرك في تلك الفترة . ان منجز سابقيه الفني ، كان منجزاً بدائياً ، ولا يمكن أن يرتقي الى مصاف الانجازات الإبداعية في العالم . ومن هنا كان لا بد لعبدالملك وزملائه من تغيير طريقة التفكير . ووجهة النظر الى هذا العمل ، والى الوظيفة الإبداعية أيضاً . فقد فتحت التجارب الفنية الحديثة أمام أعين الجميع آفاقاً جديدة لم يكونوا يدركوها في السابق .

في قصصه الأولى كانت الغلبة للوظيفة الاجتماعية على الوظيفة الفنية . لكن في « نشيد الأرض » كانت الموازنة بين ما هو فني وما هو اجتماعي صعبة .. ولم يكن يقوم بعملية اهمال مقصود للجانب الاجتماعي على حساب الجانب الفني ، وإنما لا بد أن تكون هناك موازنة ابداعية بين طرفي المعادلة ، وإذا كان الجانب الاجتماعي واضحاً في بعض القصص فلأنه اشترك في الحركة الوطنية مشاركة فعلية .

وإبراز الجانب الاجتماعي ليس عيباً ، إذا ما كانت هناك انضباطية إبداعية . فلا يمكن اهمال الجانب الاجتماعي . وإذا ما حصل ذلك . فانه يكون قد كتب قصصاً شكلية . إلا ان التغليب لم يحصل في نتاجه القصصي ، فهو لا يضع مواعظ في قصصه مثل القاص « عبدالرزاق الشيخ علي » الذي كانت كل قصصه مواعظ . فقانون العمل بكامله كتبه في قصصه ، عبدالملك نوري لا يفعل ذلك . خصوصاً في « نشيد الأرض » فقد كانت تلك المجموعة عملا فنياً متوازناً ، وهي من أنضج الأعمال القصصية ، وقد تحققت فيها تلك الموازنة ، ـ الموازنة بين الاجتماعي والفني ـ لكن النتاجات الأخرى .. وخاصة في مجموعته الثالثة والأخيرة « ذيول الخريف » كانت سمة العناية بالمضمون واضحة بصورة لافتة للنظر . « فذيول الخريف » كتب أغلب قصصها قبل « نشيد الأرض » أي قبل تبلور الحس الفني الذي تجسّد في « نشيد الأرض » وحتى ان الروائي فؤاد التكرلي في مقدمته لهذه المجموعة ـ ذيول الخريف ـ أكد ذلك . قصة واحدة فقط من هذه المجموعة وهي قصة « معاناة » كتبت بعد « نشيد الأرض » وهي قصة جيدة .

وعبدالملك نوري بوصفه مجرباً رائداً في القصة العراقية والعربية ـ لنتذكر تيار الوعي في قصته الرائعة

« جيف معطرة » وما تلاها من قصص . فالتجريب عنده لا يمكن أن يقف عند حد لان التجريب هو تجديد أيضاً . وهو لم يعد حكراً على الغرب .. بل .. لدى كل الشعوب هناك هاجس تجريبي في الإبداع وإذا انعدم هذا الهاجس فلا يكون هناك تطور أو تقدم في الفنون . كل الفنون بدون إستثناء ، فالتجديد هو تطور .. الكاتب المجدد دائماً في حالة استنفار قصوى لعمل شيء ما ، عمل جديد ، بمعنى آخر انه يصل الى درجة معينة من عدم الرضا أو القناعة عن أشياء والانجاز الذي يقدمه .. من هنا يأخذ الهاجس الفني في البحث عن أشياء جديدة ، دروباً غير سالكة ، يحرث في أرض بكر .. والتجديد ، أولًا وأخيراً رغبة ذاتية بحت في تجاوز الذات .

وسنوات الخمسينات .. سنوات التجديد في الأجناس الأدبية . والعطاء الفني ليس في الأدب فقط وإنما في الفن أيضاً .. في الموسيقى والفن التشكيلي . كانت سنوات خصبة .

ولم يساهم النقد في الترويج للتجديد آنذاك . فقط الأديب الرائد نهاد التكرلي . كان يتابع . كان عبدالملك نوري وصديق عمره الروائي فؤاد التكرلي يقرآن له بعض كتاباتهما . لكن نهاد لم ينشر نقده في الصحف والمجلات كان نقداً

شفاهياً .

لقد كتب الكثيرون من أبناء الأجيال التي تلت مرحلة الخمسينات على منوال ما كتبه عبدالملك نوري في استخدام تيار الوعي مستهدفين الكشف عن ثيمة القصة وموضوعاتها ، وكشف دواخل الشخصيات . وفي ذهني قصته الرائعة « الرجل الصغير » .

لقد كان أول مَنْ كتب قصة حقيقية . ومَنْ أضاف معه الى الأسس التي تم ترسيخها في الخمسينات فؤاد التكرلي ونزار عباس الى حدّ ما . أما الجيل الذي تلاهم فلم يسر في الطريق نفسها ، وإنما افترق عنهم . كل كاتب أراد أن يسير في طريقه الخاص ، وهم محقون في ذلك ، فهي لم تعد قضية اضافة أو عدم اضافة ، فلقد اتجهوا اتجاهاً مغايراً فلكل شيخ طريقته !

الريادة في التجديد لمَنْ ؟ عبدالملك وفؤاد صديقان حميمان وكان فاحصاً أميناً لكل بدايات التكرلي القصصية . فهل الريادة لعبدالملك ؟

هو أيضاً استفاد من التكرلي . كانا في الموقع نفسه وكان التكرلي أيضاً فاحصاً لقصصه . وحين وصلا الى درجة من التطور في الكتابة ، قبل البدايات الأولى ، في المتوسطة . كان التكرلي أيضاً كاتباً قصصياً

في المتوسطة . بعد ذلك تطورا معاً كانا في تلك الفترة كمَنْ وجد قسمه الآخر ، أتم أحدهما الآخر ، كان الواحد منهما متمماً للآخر .

لو عاد عبدالملك نوري الى الخمسينات الآن ، ماذا يفعل ، كيف يكتب ؟ هذا ما لا يستطيع أن يعلق عليه بشيء . لأنه منذ الخمسينات وحتى الآن لا بد من أن يكون تطور فكرياً وثقافياً ، فليس ممكناً ان يبدأ مثل ما كان عليه في الخمسينات ، عندها كان « خام » ولم تكن لديه هذه الحصيلة المعرفية .

وبعد أكثر من أربعين سنة من الكتابة الفنية الحديثة . فهو ينظر الى مستقبل القصة في العراق بشيء من الريبة . لأن البوادر الموجودة لا تشجع . في الخمسينات برزوا ككتّاب مبدعين من خلال ما أنجزوه . وفرضوا أنفسهم في الحركة الثقافية بدون « واسطة » أو دعاية لم تكن هناك مؤسسة أو أشخاص يقومون بالدعاية للكاتب أو الكتاب ، العمل الفني المتميز هو الدعاية ، الآن انقلب الوضع . فالدعاية تسبق الانجاز .. ليس هناك ابداع .. والنتاج لا يفرض نفسه .. أتمنى على القصصيين الذين أتوا بعدنا أن يكون نتاجهم حاضراً . ويفرض نفسه على القارىء . في هذه الحالة فقط تكون القصة العراقية بخير ..

في أغلب نتاجات جيل الخمسينات ، هناك تركيز واضح على الموضوعات الشاذة .

هذه الموضوعات بنظر عبدالملك نوري موجودة في الحياة ، وطرح قصاصي الخمسينات لهذه الموضوعات لم يكن من باب الشذوذ ، أو حباً في نقل شيء شاذ أو مغاير للواقع ، وإنما واقع الحياة كان كذلك ، فهم كانوا كتّاباً واقعيين قبل كل شيء .

للعلاقة الخاصة دور في الانجاز الفني .. علاقة الكاتب بالمجتمع ، بالأصدقاء ، بالحبيبة . هذه العلاقة لها تأثير ، الإنسان غير معزول . وهذا يظهر في انتاجه ، سواء أراد الكاتب أم لم يرد ، فهو يكتب عن تجاربه الشخصية . وهذا واضح في قصص عبدالملك نوري حتى لو كان يكتب عن « فطومة » واحدة من قصصه الاولى . أو غيرها . هي تجارب شخصية . فالكاتب كثيراً ما يجد أشياء إذا ما دقق النظر فيها بعد الانجاز . سوف يرى الكثير من أشيائه الخاصة موجودة في القصة ، وتظهر أشياء أخرى بعيدة عنه ، وخارج الجو الذي يعيش به .

وتجربة كتابة بعض قصصه تؤكد ذلك . فقد انبثقت فكرة قصة « الرجل الصغير » حين رأى صبياً صغيراً ينتظر الباص في « رأس الحواش » ، وكان عبدالملك في موقف

الباص ينظر إليه .. كان الصبي يرتدي دشداشة وقد كان « النفر » الواحد في سيارات الأجرة الخاصة بـ « عشرة فلوس » لم يكن ذلك الصبي يمتلك غير هذا المبلغ ، توقفت سيارة الأجرة ، ركب القاص بها ، وركب ذلك الصبي بجانب السائق ، أعطى المبلغ للسائق .. رفض أخذه بعد ان وصلوا « الكرنتينة » في باب المعظم .. والتي كانت تضم اسطبلات الخيل آنذاك .. نزل الصبي ، هذا المشهد بحد ذاته أثر به كثيراً . فكر انه قد يبحث عن شيء ، وقد تكون خالته .. أرسلته أمه في البحث عنها .. بنى هيكل القصة هكذا .. أو هي جاءت في رأسه بهذا الشكل فوراً ، أما الأمكنة التي ترد في القصة فقد كانت موجودة فهي الأماكن التي يزورها يومياً .. أزقة ومحلات .

أما قصة « جيف معطرة » فقد كان متأثراً فيها بجيمس جويس ومأخوذة من شخصيات يعرفها . وقصة « زمكان الحمير » انبثقت أيضاً من وراء انتظار الباص وفيها نقد اجتماعي . وقصة « ذيول الخريف » كان القاص يعيش في « الصليخ » مع زوجته « أمة العزيز الزهاوي » استقى أجواءها من تلك المنطقة .. رجل مسن يحب خبازة .. قصة ليست لها علاقة بالسياسة .. انهما عجوزان لذلك أسماها « ذيول الخريف » .

وقصة « عبود » حين كان يرى رجلا متخلفاً عقلياً يقف في الساحة القريبة من الشارع الذي يقع فيه بيت القاص . والناس تتصدق عليه. وقصة « غثيان » من تجربته في أحد بيوت (المسرات). أما قصة « ريح الجنوب » فقد كان عائداً بالقطار من بعقوبة - بعد ان قام بزيارة نهاد وفؤاد التكرلي - الى بغداد ، فشاهد امرأة تضع ديكاً في حضنها . وقصة « العاملة والجرذي والربيع » كانت فتاة صغيرة تبيع « الكيك » في المقهى السويسرية . وفي قصة « الجدار الأصم » كان واقفاً في محطة وقوف الباص في باب المعظم مقابل سجن بغداد المركزي . فشاهد السجانين على السطوح وهم يقومون باطلاق الرصاص على المساجين لأنهم قاموا بالتمرد . أما قصة « الصديقتان » فقد شاهد بقرتين - أثناء الفيضان - على سدة الأعظمية وكانت هناك مجموعة أكواخ وتنانير تشم منها رائحة الخبز . كان يمر على الخبازات ويأخذ منهن أرغفة الخبز بالمجان . لأن عائلته كانت تساعد تلك الخبازات . وقصة « بقايا رماد » وقصة « معاناة » عن نفسه فقد عاش هذه الحالة تماماً . وقصة « كان ذلك يوم الجمعة » في شارع الكفاح مقابل سينما الفردوس تماماً كانت توجد حانة وكان يأتي رجل عامل ليحتسي الخمر وكان يراه منهوكاً دائماً . وقصة

« الفانوس الأخير » من الحياة في معسكر السعدية أثناء الخدمة العسكرية - كعقوبة لهم - وكان الحرس يقومون باستبدال الفوانيس النفطية بوضع المصابيح الكهربائية .

أما قصص « مجرى الدم » و « فطومة » و « نزهة » و « الهدية » و « المزعومة » وكذلك رواية « أحلام امرأة صغيرة » فمن الخيال .

قصة « ريح الجنوب » وقصة « فطومة » ترجمتا الى عدة لغات . ولكن قصة « غثيان » التي هي أنضج منهما لم تترجم . والسبب ان القصتين محليتان وفيهما نكهة خاصة . والمترجمون الأوربيون يبحثون في كل قصة عن نكهة شرقية . وقد صدر كتاب في تلك الفترة في فرنسا يضم قصصاً من مختلف دول العالم كان عبدالملك نوري وفؤاد التكرلي من العراق ومن مصر توفيق الحكيم . هؤلاء الثلاثة يمثلون الأقطار العربية .

وقد كتب مقدمة هذا الكتاب (جاك بيرك) المستشرق المعروف . وكتب عن عبدالملك وفؤاد بشكل جميل . وهو قارىء جيد . وقد التقاه عبدالملك في باريس بناء على طلبه . وقد بقي عبدالملك في باريس عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ .

وعبدالملك نوري يعتني باللغة القصصية اعتناءً خاصاً وكأنها في النهاية تقترب من الشعرية ، فهو يحب أن تكون الكلمة معبّرة أو قادرة على كشف الصور الحسية المتشكلة في الذهن ، لذلك تتعبه الكتابة الأولى للقصة ، فهو منذ البدء يحب أن يفرغ كل الصور التي في ذهنه على الورق بصورة متكاملة دون تشوهات ، وهو يعيد كتابة القصة أكثر من مرة . وقد تكون الصفحة الواحدة في بعض الأحيان تُكتب عشرات المرات حتى يصل الى صيغتها النهائية . فهو دائماً ما يعيد كتابة الصفحات التي يكون قد كتبها في الجلسة السابقة ، حتى وإن كانت صفحة واحدة . وغير راضٍ عنها ، فهو في هذه الحالة لا يستطيع مواصلة الكتابة ، وإنما يعيد كتابة تلك الصفحة حتى تخرج بالشكل الذي يطمح إليه ، ومن ثم يتواصل مع الصفحات الأخرى للعمل .

تجربة عبدالملك نوري تنطوي على مفارقة .. لقد كان يكتب ثم توقف . حسناً ، متى يكون الأديب أقرب الى موقعه من عالم اليوم . عندما يكتب أم عندما يتوقف ؟

لديه ان الأديب الملتزم سواء كتب أم لم يكتب فهو ملتزم ، لأن المسألة تبقى قضيته الشخصية ، فإذا ما توقف الكاتب فهو أيضاً يبقى ملتزماً ، مثلما كان في لحظة

الكتابة . وهو يكتب متى ما توفر مزاج الكتابة في تلك اللحظة لا يمكن أن يوقفه شيء .

كتابة القصة عنده ليست شيئاً سهلا أبداً ، فالقصة القصيرة على سبيل المثال إذا كانت بحجم عشرين صفحة أو أقل تأخذ منه شهرين أو أكثر هذا لا يعني انه يكتب باستمرار لأنه لا يلتزم بساعات أو أوقات معينة في الكتابة ، لأنه ليس كاتباً محترفاً ، ولكن عندما تأتيه رغبة الكتابة ، يكتب وقد تستمر هذه الرغبة طويلا أو تُقتل في لحظات .. انها الرغبة هي التي تحفزه للاستمرار في انجاز العمل . والفترة الزمنية ، والتحديد الزمني أيضاً غير ثابت . لأن المزاج غير ثابت .. كذلك فان قصصه تحتاج الى نوع من الجهد المتعب اللذيذ ، لأنه لا يكتفي بكتابة واحدة للقصة وإنما يعيد كتابتها أكثر من مرة ، وفي كل مرة يكتشف أشياء جديدة في الموضوع الذي يكتبه ، أي بمعنى آخر ، ان الموضوع لا يأتي جاهزاً دفعة واحدة ، وإنما يولد ويكبر أثناء الكتابة ، ولكن قد يأتي ذلك الموضوع مثل شرارة برق .. مثل وضمة ، لكن الهيكل بعدها يأتي بسهولة ، إلا ان الصعوبة في إكساء ذلك الهيكل ، لذلك فهو يستصعب الكتابة ، أما إذا كانت الكتابة بصورة سهلة فانها سوف تخرج أشياء لا يمكن أن يرضى عنها . وهذه العناية أثرت

على غزارة انتاجه .. انتاج قليل ، لكنه متميز ، واضح فيه التركيز . فهو عندما يكتب يفكر بما يكتب ، ثم يبحث فيه ، اضافة الى تركيزه تركيزاً فنياً دقيقاً . ولذلك فهو لا يصلح لكتابة الرواية . الرواية بحاجة الى تفاصيل واستطرادات وسرد وهو لا يحب تلك الأشياء ، هو دائماً يحب الأشياء الفنية المركزة . ففي رأيه ان الرواية بسيطة بالنسبة للقصة القصيرة . لكنه لا يريد أن يكتب رواية . هذا ليس من طبعه ولا يمتلك نَفَساً طويلا .

هي أسهل من القصة عنده .. فيها شيء من التكنيك وقليل من التركيز ، فالروائي يستطيع أن يكتب عدة صفحات دون أن يهتم بالقضية الفنية « يسرد » هو بالعكس يفكر بشيء مغاير ، سطر واحد يؤثر ولا يدري مَنْ قال انها مثل الشعر ، إذا خرجت منه كلمة « يخرب » . فإذا أخرجت سطراً واحداً من قصته تهشم الهيكل العام بأجمعه .

طرح في إحدى قصصه فكرة تشير الى انه مع التوجه الذي يقول « ان الفن للفن » حيث قال أحد الشخوص في تلك القصة « ان الفنانين العظام لا ينتجون إلا للفن » لكنه لم يكن يقصد انه مع موضوعة الفن الذي لا ينتج إلا الفن . فهو يكتب لنفسه ، وحين يحاول أن يكتب القصة يحاول جهده أن تكون القصة منسجمة مع نفسه .

وهذا يعني انه يحاول الوصول الى الكمال ، ما زال يحاول الوصول الى هذه الحالة ، ورغم صعوبتها ، وربما عدم تحققها ، إلا ان البحث عنها لا يشعره بالاحباط ، انه ما زال يبحث ويحاول أن يجعل لتكنيك القصة عنده اسلوباً خاصاً . الغربيون ابتدأوا التكنيك وهم الذين أنتجوه ، ولهذا أراد أن يؤسس خصوصية لتكنيك القصة العراقية .

وهو ما زال معتكفاً وأحياناً لا ينظر الى نفسه انها أسست جسوراً مع القراء وهو يتألم كثيراً لأنه لا يكتب ولكنه ، لا يتألم لأن القارىء افتقد قصصه . ربما هذا يعني انه لا يهتم كثيراً لمسألة القراء ولا لتأثيره فيهم . ان القارىء لديه مسألة أخرى ، ليس له دخل فيما يكتب من قريب أو بعيد ، فهو مجرد قارىء وله حق الرفض أو القبول . وهو لم يعتد على الكتابة بشكل مستمر .. بل .. تخلق القصة في داخله على شكل ومضة يسطرها وفق حبكة خاصة لتخرج بالتالي قصة قصيرة .

وهو لم يستمر بعطائه في القصة مثلما كان في السابق .. ربما يعود السبب في ذلك الى الزمن أو الى حرصه على تقديم نتاج يوازي أو يتفوق على ما قدمه في الماضي ، ففي رأيه الذي لا يقدم عملا أفضل من أعماله السابقة عليه

أن يتوقف عن الكتابة. وهو يجد نفسه عاجزاً حالياً عن تقديم عمل جيد ، يتجاوز فيه ما قدمه.. ان ذلك أصبح عملا صعباً بالنسبة له ، فهو يحتاج الى قوة عضلية وجسدية وصحية ، وهو لا يعود الى ذكرياته . فالذكريات لا يستفيد منها .. فانها ستصبح عملية سرد .. مجرد سرد . وهذا ما يضجره .

هذا الصمت الذي طال هل يحبل بأعمال ابداعية جديدة ، أم هو طلاق بائن عن فن القصة ؟ أظنها فترة قلقة ، لأنها فترة انتقالية ، فهو يصبو دائماً الى كتابة أشياء أفضل ، إلا ان انتاجه الجديد ليس بالعملية السهلة ، وقد يكون (يولد) وقد لا يكون (لا يولد) ، لهذا فانه يشعر بشيء من التردد أو التهيب إزاء خطوة من هذا النمط .

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

١ و٩٢٨

ث ٨٣ الثلج ، هاتف

عبد الملك نوري : رحلة الابداع / هاتف الثلج .

بغداد : دار الشؤون ، ١٩٩٧

١٢٠ ص ؛ ٢٤ سم .ـ (الموسوعة الصغيرة ؛ ٤٠٦)

١ . عبد الملك نوري (أديب)

أ . العنوان ب . السلسلة

م . و

١٤٣ / ١٩٩٧

المكتبة الوطنية « الفهرسة اثناء النشر »

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

(١٤٣) لسنة ١٩٩٧

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير

ماجد اسد

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

السعر ١٠٠ فلساً

هاتف عبداللطيف الثلج

- ولد في تكريت ـ محلة الحارة في ١٩٥٢/٨/٩ .
- مارس العمل الصحفي منذ سنة ١٩٧١ وما زال يعمل في الصحافة وله عمودهُ الاسبوعي «مكاشفة» .
- يعمل حالياً في جريدة الثورة .
- عمل في المسرح وأعد وقدم للاذاعة والتلفاز عدة برامج «مواقف وشخصيات» و «مرايا متقابلة» .
- كتب قصصاً للأطفال وقصصاً قصيرة نُشرت في الصحف .
- أجرى العديد من الحوارات مع الرواد والشخصيات المعروفة ونُشرت في الصحف العربية